

رواية

الآخر

أحمد ناصر

تشكيل للنشر والتوزيع





رواية



أحمد ناصر





Email publish@tashkeel- publishing.com

Website www.tashkeel-publishing.com

Mobile 201006250473 FB/Tashkeeel

I.S.B.N : 978-977-6555-51-8

رقم الإيداع: 29183/ 2017

الطبعة الأولى : الأولى

تصميم الغلاف : أحمد فرج

المراجعة اللغوية : أميرة أسامة

الإخراج الداخلي : ضياء فريد

المدير العام : سيد شعبان



إهداء

كريم محمد علي..إسلام عبد الله..أحمد أبو رية..أحمد إبراهيم عيسي..أحمد إبراهيم..محمد مسعد..

مصطفي منير..محمود وهبه..محمود صلاح..إسلام أحمد..محمد أمير..أيمن سليمان..محمود جمال..أحمد هشام..إيهاب مصطفي..علاء عبد الناصر..محمد عزب...أحمد ابراهيم عيسي

لكم فقط..

فلولاكم لتوقفت عن الكتابة منذ زمن..

أساتذتي الكبار..

محمد الدواخلي..محمد عصمت..حسين السيد..تامر عطية..عمرو المنوفي

كل نجاح أحققه لكم فيه نصيب الأسد دمتم لي بئرًا لا ينضب أبداً..

شكر خاص إلي

حسام محمد

مينا ملاخي

حسام مصطفي -أبو الكتب-

جروب ساحر الكتب وأعضائه ومسؤوليه.



إهداء أخير

إلى كل من آمن بي..

إلى كل من وثق بي..

إلى كل من حاربني وسعى لهزيمتي..

إلى كل من راهن على سقوطي وقت العاصفة..

إلى كل من راهن على زوالي..

لولاكم ما ظللت صامداً..لولاكم لما ظللت أقاتل..

سأظل في مكاني أفعل ما أجيد فعله..

حتى ينتهي مداد كلماتي، أو تخرج آخر أنفاسي..

أحمد ناصر



بعض الروايات كُتبت لكي تُقرأ فقط، ستمس شيئا ما في صميم وجدانك..

لكنها لن تجعلك تتحرك من مكانك..

لن تنير لك الطريق الطويل المظلم..

ستتركك داخل دائرة الحياة التي تأسرك وتأسر حقيقتك..

في الروايات وفي الواقع الحقيقي علي حدٍ سواء..

قد ينتصر الخير..وقد ينتصر الشر..

هنا لن ينتصر أحد..

الجميع هنا خاسرون..

تلك الرواية لن تقدم لك شيئاً يذكر..

كل ما ستفعله روايتي أنها ستحرك المياه الراكدة بإلقائها حصاة صغيرة فيها..

تلك الرواية قد كتبت كي تجعلك تفكر..

وتبحث..

وتسأل..وتفند الحقائق.

علك تصل إلى الحقيقة...

التي مات الملايين علي أعتاب بابها قبل أن يدركوها.



الآخر_انفصام

إنَّ العقل البشري يستطيع تخزين ما يفوق المليون جيجا بايتس من البيانات والمعلومات

وتلك الكمية تُقدر بحوالي نحو سبعٍ ونصف مليار كتاب، أو ما يوازي 670 مليون صفحةَ ويب.

***

لقد رأيت فيما يرى النائم الزمن يسير عكساً، رأيت الخلائق تنشأ من الخلائق، رأيت الميت يخرج من الحي، والبناءات تنهض من الأنقاض والأطلال والقديم يطل من الحديث..

وفي رؤياي. رأيت الطيور ترتمي أرضاً مدرجة في الدماء ورأيت الدواب تفقد أطرافها وتمشي زحفاً حتى تنبت لها زعانف!!.

رأيت سكان الماء يذوبون في الماء فتمحي صورهم حتى لا يبقي منها غير هُلاميات لن تدلنا أبداً علي وجودهم..

هُلاميات تتفتت وتصير ذراتٌ وحيدة تذهب هباءً في الفراغ السرمدي..

رأيت الشمس والقمر وأحد عشرَ كوكباً تجتمع في قبضةٍ واحدة عملاقة..

رأيت السَّعات تضيقُ، وكأن ما فتق من الأكوان لا محالةَ صائرٌ إلى رتقٍ..

وصحوت!!.

***



ما هي الحقيقة؟..

أ هي ما تدركه بعقلك..أم ما تلمسه بحواسك المادية؟..

أم هي خليطاً ما بين الاثنين؟.

وجود الإنسان على الأرض وحده حقيقة..

مغادرته لتلك الحياة أيضاً حقيقة.. وتلك حقائق مسلم بها..

لكن هناك أشياء لن تستطيع إدراكها بعقلك أو بحواسك..

هناك أشياء خُلقت فقط كي تجعلك تُفكر ..

أشياء ربما لا وجود لها سوى في عقلك أنت فقط..

كل ما أستطيع أن أقوله لك.. أنَّ الإنسان كائنٌ مُخيفٌ..قدراته كبيرة..

لا تصدق من يقول أن الإنسان كائن محدود القدرات...

الإنسان يبني حضارات ويفني أخرى في طرفةِ عين..

الإنسان ضعفه يعتمد على قوته..فالإنسان الذي غاص لأعمق أعماق المحيطات.. وصعد إلى الفضاء السرمديِّ البارد..

يستطيع كائنٌ مجهري أن يقضي عليه في غضون أيام..

النفس البشرية معقدة..للغاية.

لا يوجد لها قوانين أو نظريات..فقط أنت تتكهن.. ستصيب وستخطئ..

العقل البشري قوي...قوي بطريقة لن تستطيع تصورها..

لكن برغم قوته فهو ضعيف..

وهنا فقط تكمن....الحقيقة

***



«عُلبة الدواء الفارغة وتلك المجموعة من الأوراق هي كل الأحراز التي وجدناها في تلك الشقة ولم نجد شيئاً آخر يستحق الانتباه.»

قالها أمين الشرطة وهو يؤدي التحية العسكرية إلى الضابط الجالس على المكتب قبالته، صرفه الأخير بفتورٍ وهو ينظر إلى الأوراق التي أمامه ويتفحصها باهتمامٍ شديد، كانت غير مُرتبة أو مُرقمة..

وكأن من كتبها كان لا يود أن يحتفظ بها..

تلك الأوراق كُتبت فقط للنسيان ليس إلَّا، لكن لا حل سوى ترتيبها وقراءتها... لعلها تزيح الستار وتُقرؤه الحقائق..

ربما تكون ذات قيمة لصاحبها لدرجة أنَّها كانت آخر من رافقته قبل المُغادرة وقد تركها هو لأنه ضاق ذرعاً بحملها الثقيل..

ربما لا قيمة لها إطلاقا..فقط حبراً على ورق..

نفض الضابط رأسه بحركةٍ عنيفة، طاردًا الأفكار الكثيرة التي احتلت خلايا مُخه الرمادية.

وبدأ في محاولة ترتيب الأوراق ترتيباً يسمح بقراءتها واستشفاف ما فيها بعد أن نَحَّى علبة الدواء الفارغة جانباً..

مجرد محاولةٍ بائسةٍ أخرى منه لسبر أغوار تلك القضية الغامضة..

لم تكن قضية غريبة عليه فقد واجه مثلها العشرات منذ بداية عمله في السلك الشرطي..لكن حدسه الأمني يرفض فكرة أنَّ تلك القضية كسابقتها..

منذ الوهلةِ الأولى أدرك الضابط أنَّ تلك الأوراق ما هيَ إلَّا عبارة عن مذكرات شخصية..



لكن مشكلته أنَّ تلك الأوراق غير مؤرخه،أي أن مبدأ الترتيب الزمني غير موجود.. ولكن مبعث حيرته الشديدة وارتباكه لم يكن بسبب الأوراق غير المرتبة..بل ما كُتب فيها..

مُربك، غامض ومخيف بكل المقاييس.

ففكر أنه لا سبيل أمامه سوى محاولة ترتيب الأوراق حتى يصل لنهاية تلك الحلقة المُفرغة..

وأخيرًا بعد عدة محاولاتٍ مُضنية نجح الضابط في الوصول إلى ترتيب معقول يُتيح له أن يقرأ وأن يعرف، صحيح أنَّ المعرفة ستكون قليلة وربما ضررها سيكون أكبر من فائدتها ولكن لا طريق آخر أمامه ليسلكه..

أخرج الضابط لفافة تبغ من علبة التبغ خاصته ثم أشعلها ببطء..وسحب منها نفسًا عميقًا من النيكوتين محرقًا رئتيه..

وبدأ في القراءة..

***



الورقة الأولي

(١)

«أنا خائف.»

نطقت بتلك العبارة بصوتٍ مرتجف مبحوح وضعيف لا يكاد يسمع من خُفُوتِه..

كنت أهمس..

كأنِّي إبليسٌ رجيم أوسوس بخطيئة أكل التفاحة إلي آدمٍ جديد..

كان العرق يسيل علي جبهتي غزيراً – رغم برودة الجو الشديدة – نازلاً على عيناي فيحرقهما فأقوم بإغماضهما بشدة.. مُمسكاً بشفرة حادة في يدي اليمنى، أحاول أن أقربها إلى معصم يدي اليسري؛ كي أمزق شرايين خافقي وأنتهي من مأزقي الذي وضعت فيه رغماً عني إلى الأبد..

لكن ارتجافةْ يداي حالت دون وقوع ذلك..

أو يمكن أن غريزة البقاء هي من تتحكم في يدي الآن وتمنعني من الانتحار..

أو كما كان يقال عني دوماً أنني جبان..لا أستطيع اتخاذ قرار واحد سليم بمفردي.. أو حتى خطأ.

وراودني السؤال الذي طالما جثم علي صدري مانعاً إياي من التنفس، ذلك السؤال الذي صار أكثر كوابيسي رعباً وإظلامًا..هل؟...

هل يمكن أن تظل لديَّ رغبة في البقاء علي قيد الحياة بعد كل ما واجهته..وكل ما عانيته..؟

وكل ما رأيته؟



هل أنا مقاتل...هل تَمَسُّكِي بالحياة يُعد أمراً صحيحاً؟.

هل يوجد شيئًا في الحياةِ من الأساس يستحق أن نناضل من أجله؟.

شعرت أن ارتجافةَ جسدي لم تكن هي ما تؤخر وصول الشفرة إلى شرايين يدي ولا حتى غريزة البقاء..

بل إن ما يمنعني الآن عن إتمام آخر طقوس كفري بالإله..

هما قوتان مُتضادتان..

إحداهما تدفع يدي تريد موتي والأخرى تُبعد يدي قدر استطاعتها..

وأنا مشتتٌ حائرٌ بين القوتين، لا أميل إلى إحداهما علي صالح الأخرى..

بقيت على هذه الحالة لدقائق لم أحصها وفقدت فيها إحساسى تماماً بالوقت والزمن؛ وقد خارت قوايَ تماماً حتى انتشلني صوت (الآخر) مما أنا فيه، جاءني صوتَه قاسياً بارداً كبرودة الغرفة التي أنا فيها:

لم أر في حياتي من هو أجبن منك يا صديقي، خلاصك بيدك ولكنك جبان رعديد لا تقوى حتى على قتل ذبابة أو حشرة صغيرة..رغم إنك فعلت ما هو أشنع من ذلك لكنك تتناسى..

أم أنك تخاف الموت كافراً؟؟..لا أعتقد أن خوفك من الإله هو ما يمنعك الآن؟!

لا أعتقد أن طينتك التي قد جُبِلتَ منها تسمح لك بخوفٍ من إله ما؟.

فأنت إله نفسك.

لم أقوى على الرد حتى ولو في نفسي فقط..كانت الارتجافة قد بدأت تنتشر من يدي إلى جميع أنحاء جسدي.

فأصبحت كهرٍ صغيرٍ مبتلاً في ليلةٍ عاصفة شديدة البرودة والمطر..

أشعر بصعوبةٍ شديدةٍ في التنفس، حلقي جاف جفاف الصحراء الكبرى..

مرت عليَّ لحظاتٌ أحاول أن أستجمع قواي حتى أرد عليه..فهو لا يغادرني إلَّا عندما يحصل على رد..

فلو لم يحصل على رد، سيكون عقابه قاسياً..

حاولت منع ارتجافتي من التسلل إلى صوتي حتى يخرج مني قوياً متماسكاً وقلت له: أنا لا أريد أن أموت..ليس اليوم علي الأقل..

قلت الشطر الأخير من جملتي وأنا أحاول الابتسام ناظراً إلى انعكاس صورتي الباهت في المرآة التي أمامي..

عاد الصوت يقول مرة أخرى:

لا جديد، مازلت جباناً كما أنت يا صديقي العزيز.

صمت صوت (الآخر) لبرهةٍ وعاد يقول:

إن لم تمت اليوم ستموت غداً أو الأسبوع القادم أو السنة القادمة..

لا فكاك ولا مهربَ لك، إنَّه قدرك..مكتوب في صحيفتك منذ الأزل وقد رُفعت الأقلام منذ أن تُولد..

قلت بصعوبةٍ وقد بدأ وعيي يتسرب مني كماءٍ يسيل من قُربةٍ مثقوبة:

كلنا ميت..

بصوتٍ يحمل فيضاً من المشاعر المتناقضة من حزنٍ وغضبٍ وشفقةٍ وثورةٍ قال الآخر: أنا لن أدعك تعيش طويلاً..صدقني

حتى إن لم أنجح في هذا..سيأتي غيري ويكمل مهمتي سيأتي آخر وآخر وآخر، وستعيش في دائرةٍ منغلقة إلى الأبد لن تنتهي سوى بموتك..أو جنونك..وفي الحالتين أنت خاسر ونحن فائزون..

أنت فانٍ ونحن باقون.



لم تكن تلك المرة الأولى التي أسمع فيها تلك الكلمات المخيفة الغريبة..لكن هذه المرة الأمر مختلف..

أشعر بشيءٍ مريبٍ في نبرةِ صوت (الآخر)، ربما أراد أن ينقل اللعبة إلى مستوى مختلف..

حاولت أن أرد عليه لكن أَبَى صوتي أن يطاوعني وخذلني ولم تخرج سوى حشرجة مختنقة مني..

فلم أمتلك سوى النظر إلى صورة انعكاسي الباهتة في المرآة وأنا أبتسم...

***

الأطفال أرضاً خصبة للغاية، ما ستزرعه فيهم ستحصده يوماً ما..

فاختر ما سوف تحصده بعناية

***



الورقة الثانية

(٢)

كنت طفلًا..

مجرد طفلًا صغيراً لا أحمل من هموم الدنيا شيئًا، قلبٌ أبيض نقي صافي لا يعرف الكُره أو الضغائن أو الحقد.

وعقل لم يلوث بعد بألاعيب البشر ودناءتهم ودنسهم..

لم يكُ يشغل بالي وقتها سوى لعب الكرة مع أقراني في شارعنا الهادئ..

لا ضغوط .. لا واجبات .. لا مشاكل أو منغصات فقط اللعب واللهو..

في أحد تلك الأيام

كان عمري وقتذاك سبع سنوات..

كنت ألعب الكرة أمام بنايتنا مع أقراني واندمجت في اللعب وللأسف الشديد لم ألمح والدي وهو قادم من نهاية الشارع..

فقد كنت ألعب دائماً عيناً في الملعب وعيناً على نهاية شارعنا للمراقبة..

ففي الأوقات العادية وأنا ألعب عندما كنت ألمح والدي وهو قادم من نهاية شارعنا أهرع مباشرةً إلى بيتنا كي لا يراني وأنا ألعب في الشارع وأتجنب عقابه الشديد لي..

فهو لم يكن يحب رؤيتي ألعب في الشارع لا خوفاً علي ولكن تكديراً لي فقط..

كان يرفض أن يراني سعيداً، كان يرفض أن يراني أستمتع بعمري..

كان يقول إنه عندما كان في مثل عمري ؛يعمل حتي يوفر بعض النقود لاستكمال دراسته!!

لكن ما ذنبي أنا في قصة كفاحه تلك؟.

يومها لم ألاحظه وهو قادم..ركلت الكرة، والتفت للخلف فجأة في خوفٍ مبهم ورأيته..

طوله المهيب وشاربه الكث الغزير وعيناه العسليتان الهادئتان اللتان أورثني إياهما تنظران إليَّ شذرًا حاملتان تهديدًا ووعيدًا كفيلان بقتلي رعبًا..

بنظرةٍ واحدةٍ منه فهمت الأمر فورًا..

نظرةٌ واحدةٌ أرعبت فرائصي وأفهمتني ما يجب علي أن افعله..

سرت أمامه وخوف الدنيا يملأني..صعدت درجات السلم وأنا أضع في مخيلتي قائمة من العقابات المختلفة التي يمكن أن تطالني اليوم..

فقط ظللت أدعو الله في سري أن لا يكون العقاب شديدًا..

أو أن لا تطول مدة بقاء آثار هذا العقاب على وجهي حتي لا يزيد همي عند ذهابي إلى مدرستي..

انتهت درجات السلم ووقفت مع والدي أمام باب شقتنا الذي قام بمعالجة رتاجه بمفتاحهِ الخاص بينما يضع يده على كتفي بهدوءٍ شديد..

فتح أبي الباب وبدون مقدمات دفعني بقوة لأسقط على وجهي على بُعد عدة أمتارٍ منه..

لم أجد الوقت حتى للشعور بالألم..

لأنه لم يكتف بهذا بل انقض علي وأنا مستلقياً علي الأرض وركلني عدة ركلات بطرف حذائه المُدبب في وجهي وبطني وأنا أرفع يدي محاولاً حماية وجهي، لكن، رغم هذا طالته ركلةً أو اثنتان..



الألم صعب، الأصوات تتداخل، ومذاق الدم يصيبني بالغثيان..

رغم اعتيادي له..

لكنه دائمًا يصيبني بالغثيان..

ولم تنتهي حفلة تعذيبي بعد.

فجذبني أبي من شعري بعنفٍ فتأوهت ولم أستطع أن أترجم ألمي إلى صراخ.. فالصراخ كان يضايق أبي..كان يعتبر الصراخ اعتراضاً على مشيئته..

أجبرني على النهوض ثم صفعني عدة مرات متتالية سريعة وهو يقول :

أنت ولد فاشل، لن تنجح أبداً في حياتك.

لم أستطع منع صراخي مع ضرباته العنيفة..فصرخت.

ظل يضربني..وظللت أصرخ.

لم يأبه أبي بصرخاتي أو بتوسلاتي له واستمر بضربي حتى أدمى أذني وشفتاي وكسر لي ضرسين..

شعرت أنه لم يكن يؤدبني، بل كان يريد أن يقتلني..

جاءت أمي من مطبخها على صوت صراخي وهي تقول بصوتٍ هادئ وكأن شيئًا لا يحدث:

ماذا حدث؟.

لماذا تضرب أمجد هكذا هل فعل شيئًا ما أغضبك؟؟!!..

رغم برودها هذا فقد أنقذتني أمي بدون أن تدري فقد توقف أبي عن ضربي وهو يواجهها قائلاً بثورةٍ عارمة رغم رؤيتي لها عشرات المرات لكني لم أستطع الاعتياد عليها حتي الآن:



أنتِ امرأة فاشلة وفاسدة، لم تستطيعي تربية ابنك الصغير، ودللتهِ حتي أفسدتهِ؛ يترك استذكار دروسه ويذهب للهو واللعب في الشارع مع أبناء الجيران كمن لا أهل له..

تنظر لي أمي نظرةٍ مليئةٍ بالوعيد وهي تحاول تهدئة ثورة أبي قائلة:

الولد يستذكر دروسه ويذهب إلى مدرسته ولا أحد يشكو منه سواك أنت فقط..

صرخ أبي وقد ازداد غضبه:

كان يجب أن ننفصل منذ زمن بعيد يا امرأة..كان يجب أن ننفصل عندما أخبرني الجميع أنك امرأة فاشلة لا تستطيعين تدبير أمور منزلك..

حاولت أمي أن ترد وقد تعلق نظرها بي في كرهٍ غريب لا يليق بأمٍ أبداً لكن أبي منعها بإشارةٍ من يده وهو مازال في أوج ثورته:

أنت امرأة مهملة لكن صدقيني إن تكرر إهمالك في بيتي مره أخري لن أدعك تبيتين فيه ليلةٍ واحدة بعد ذلك هل تفهمين ما قلته يا امرأة؟

ثم ذهب تاركني وإياها بدون كلمةٍ واحدة..

تأتي أمي ناحيتي أحسبها ستنتشلني مما أنا فيه وتضمني إلى حضنها مخففة عني رغم أني استبعد ذلك لكنها صفعتني صفعة شديدة شعرت معها بطنينٍ هائل في أذني..

أمي لم تخيب ظني ولو لمرةٍ واحدةٍ بها..

لم تألمني الصفعة بقدر ما آلمتني نظرة أمي لي..فقد كانت نظرة الكره والغل في عيناها بألف صفعة مما نَعُد..

شعرت بأنفي يزداد نزيفه وبدوارٍ شديدٍ يكتنفني من أثر ما تعرضت له من الضرب، وقد بدأت الدنيا تميد بي، ولم أسمع إلَّا صوتها يأتيني من أغوارٍ سحيقة وهي تقول منادية على أخي الأكبر:

اذهب به إلى غرفة العقاب فهو يستحقها اليوم.

وأغلقت عيناي



الورقة الثالثة

(٣)

غرفة العقاب..وما أدراكم ما هي غرفة العقاب؟..

أحد الأسباب التي تجعلني أتمني الموت كل ليلة هي تلك الغرفة الصغيرة التي لا تتعدى مساحتها المتران طولاً ومثلهما عرضاً ولا يوجد بها أي أثاث أو منافذ غير بابها..

لا يوجد بها أي مصدر إضاءة سوى مصباح أصفر اللون صغير معلق في السقف يشع ضوءاً باهتاً لا يبدد ظلاماً ولا يؤنس وحشة ولا يذهب برودة..

كئيبةٌ، مُوحشة..

تُخضع الروح قبل البدن..

من المفترض أن أمي كانت تستخدم تلك الغرفة لتخزين أشياء خاصة بها من حاجيات وأغراض المنزل..

لكن مع مرور الوقت لم تعد تلك الغرفة تستخدم كمخزن ولكن تستخدم كإحدى أدوات عقابي الدائم.. غرفة العقاب هي ثاني أبشع وسيلة عقاب لي بعد ضرب أبي وتعنيفه..

عندما كان والدَاي يريدون التمادي في عقابهم لي بعدما أنال بالطبع نصيبي من الضرب والركل والكي بالنار وربما أحيانًا التعليق متدليًا من قدماي في السقف..

كانوا يقومون بحبسي في تلك الغرفة ربما يتركوني يومًا أو اثنين بدون طعام أو شراب..



كنت أعطش، أجوع وكذلك لم أكن أستطيع قضاء حاجتي..

فكنت أضطر أن أبول في سروالي ليحل بعدها علي عقابًا مضاعفًا من أمي..

رغم أنه من المفروض أنني قد تعودت على المكوث بغرفةِ العقاب كما سمتها أمي لفتراتٍ طويلة..

إلَّا أنَّ تلك الغرفة كانت دومًا تحمل لي خوفًا مبهمًا مجهولًا من اللاشيء..

خوفًا من ظلامها المُستتر وبرودتها الغير مُبررة صيفًا أو شتاءًا..

فتلك الغرفة قارةٌ أخرى لها مناخ خاص بها..

وللعجب فأنا كنت أُفضل ضرب أبي وأمي لي عن مكوثي في تلك الغرفة وحدي لفتراتٍ طويلة مع هواجسي وخيالاتي التي لا تنضب..

ففي إحدى المرات كان عمري وقتها أحد عشرَ عامًا..

قرر أبي حبسي بغرفة العقاب بدون أن أفعل أي شيء..فقط كل ما فعلته أني جلست هادئاً عندما عاد من عمله غاضباً بسبب مشكلةٍ ما مع مديره..

«كيف تجلس يا ولد وأبيك غاضب.»

هكذا قال لي...

جذبني أبي كعادته من شعري الطويل حتى أوصلني إلي باب غرفة العقاب الذي فتحه، ثم ركلني..

دفعتني الركلة بعنف إلى داخل الغرفة ساقطًا على وجهي بينما كان أبي يغلق الباب خلفي تاركًا إياي في الظلام الدامس..

نهضت ببطءٍ وأنا أتألم بشدة أحاول التقاط أنفاسي بصعوبة، هواء الغرفة كثيف والرطوبة خانقة والبرودة غير مبررة رغم أننا وقتها كنَّا في أوج فصل الصيف..

تحسستُ طريقي في الظلام حتى وصلت إلى زر الإضاءة وضغطت عليه..



صدر أزيز خافت متقطع من المصباح الوحيد في الغرفة وانتشر الضوء الأصفر الباهت في محاولةٍ يائسةٍ منه لتبديد الظلام البارد الغريب الذي يكتنف تلك الغرفة الصغيرة..

بوهنٍ شديدٍ سرت إلى أحد أركان الغرفة الذي اتخذته كمجلس دائم لي وأنا أتحسس جسدي المتعب والمنهك من أثر الضرب الذي تعرضت له..

مرت لحظات وبدأ ضوء المصباح يتذبذب بشدة..

يخفت ويشتد..

يخفت ويشتد..

يخفت ويشتد..

بطريقةٍ مُحطِّمةٍ للأعصاب..

لحظات من الضوء تليها لحظات من الظلام والسكون التام..

لحظات من الظلام تشعر فيها بأن كل وحوش الأرض حولك تحاول الفتك بك، تليها لحظات من الضوء الشحيح الذي يغمر كل شيء معلناً، ولو بشكلٍ مؤقت أنك في أمان..

لكنه مجرد أمان زائف..

أحسست بأن هناك شخصًا معي في زنزانتي الضيقة..

شخصًا يشاركني همومي وآلامي المُبرحة..

شخصًا يتنفس معي من نفس الهواء لكن ببطءٍ وبصوتٍ مسموع!!.

أشعر به يقف بجوار أذني اليسرى، وأكاد أشعر بأنفاسه الساخنة ترتطم بجلد رقبتي..



دارت عيناي في محجريهما من الرعب..أحاول أن أوهم نفسي بأن كل هذا لا وجود له..

تلك مجرد تخيلات..أنا فقط أحلم..

لكن هيهات..

تمر لحظات ثقيلة بطيئة يستمر فيها تذبذب الضوء حتي خبا تمامًا..

ساد الظلام..

وجاء منه كل شر العالم ليخيف طفلًا صغيرًا لم يتجاوز العاشرة من عمره..

تجمد كل شيء حولي حتى أنفاسي تجمدت من الخوف..

حاولت أن أصرخ مستنجدًا لكن صوتي خرج ضعيفًا متخاذلًا يكاد يُسمع..

كالهمس تماماً.

وفي هذه اللحظة لأول مرَّةٍ في حياتي سمعت صوت (الآخر) يقول لي بلهجةٍ ودودة:

لا تخف مني أنا هنا لمساعدتك، عليك فقط أن تطلب مني هذا يا صديقي..

***



الورقة الرابعة

(٤)

لم يكن عنف أبي موجَّها ضدي فقط.. بل والحق يقال فأبي كان رجلًا عادلًا في توزيع غضبه واضطهاده علي جميع أفراد أسرته بالتساوي، وبدون ظلم أحدٍ منا..

كان رجلًا عادلًا للغاية .

فقد كان أحيانًا يساوي بيني وبين أخي الأكبر في الضرب والركل والصفعات والشتائم..

لكن العجيب أني كنت أراه في بعض الأحيان جيدًا مع أمي وأخي، علي عكس ما كان يفعل معي..

بالطبع اللحظات التي يكون فيها أبي في مزاج رائق نادرة كندرة الأمطار في فصل الصيف..

الأغرب أنه أحيانًا كان يعاملني بلطف، لكنني لا أستطيع تذكر هذا..

ربما سيئاته التي فعلها معي محت من ذاكرتي كل حسناته التي فعلها لي..

أتذكر جيدًا أنِّي عندما أكون معاقب ويحاول أخي أو تحاول أمي لو مجرد المحاولة في تخفيف عقاب أبي عني..

كانت الحياة تنقلب في المنزل إلى جحيم دامي، كان غضبة أبي تحل علي الجميع بلا استثناء.. هناك دائمًا قولًا مأثورًا لأبي لم أستطع نسيانه حيث كان يقول أبي

«إنني أعاقب أمجد حتى يصبح رجلًا يمكننا الاعتماد عليه فيما بعد..ولا أستطيع جعل أحدًا منكم ينجح في تخفيف وطأة عقابه..الفتى إن شعر بأن هناك من سيقف

بجواره عندما يعَاقب سيتمادى في أخطائه مُسْتَقبلًا، ولن يجد من يردعه عنها»...

في أحد المرات كنت عطشًا فجلبت كوبًا من الماء وشربته ووضعته علي المنضدة أمامي وجلست أتابع التلفاز..عاد أبي من عمله ليجدني والكوب..

اتهمني بالإهمال والتقصير بسبب عدم إرجاع الكوب إلى المطبخ مرة أخرى بعد انتهائي من الشرب فيه..

نظر لي وبدون أن يوجه أي كلمة توجهت بنفسي إلى غرفة العقاب كالعادة بلا طعام أو شراب..

ووقتها بينما كنت أنا أتضور جوعًا ومعدتي تئن كانت أمي تصيح معلنة بأن طاولة الطعام قد أصبحت جاهزة!!.

نادت على أبي وعلى أخي أن يحضروا بينما نستني أمي أو تناستني..

لكن أي أم هذه التي تترك ابنها الأصغر وفلذة كبدها جائعًا عطشًا، بينما هي تجلس لتأكل هانئةَ البال مرتاحة الضمير..

وكأنها قد حققت كل مرادها في هذه الحياة الدنيا..

في هذا اليوم تحركت مشاعر أخي الأكبر قليلًا نحوي..فقال لأبي محاولًا تحريك مشاعره هو أيضًا تجاهي:

أمجد في الداخل منذ فترة ليست بالقليلة يا أبي وهو لم يتناول شيئًا منذ الصباح فما رأيك أن...

لم يمهله أبي لأن يكمل أخي حديثه فثار ثورة شديدة وهو يصرخ في أخي بأنه ليس رجلًا ولا يعتمد عليه؛ لأنه لم يتحمل فكرة غياب أخيه الصغير عن طاولة الطعام.

حاولت أمي تهدئته فقالت: هو لم يقصد شيئًا هو فقط يريد...

نهض أبي فجأة وهو يزيح الأطباق بيده من على المائدة لتقع على الأرض لتتكسر بدويٍ مزعج، وتتناثر محتوياتها من طعام؛ ملوثة كل ما يحيط بها..



وهو يصيح بها غاضبًا:

لا يحق لامرأةٍ مثلك أن تتحدث..حتى الطعام تقدمينه باردًا، من أي طينة جُبلتي أيتها الخائبة..أنت فاشلة في كل شيء..فاشلة كأم .. فاشلة كربة منزل .. فاشلة كزوجة.. ما دورك في هذه الحياة أيتها الملعونة..

كان صوتهم يأتيني من الخارج..أكاد أراهم أمامي الآن..

وجه أبي الغاضب المحتقن..وجه أمي الشاحب ووجه أخي الخائف المرتعب..

الآن صرت وحيدًا تمامًا أمام بطش أبي بلا سند أو شخص يستطيع حمايتي منه..

ومضت صورة جدي لوالدي في ذهني فجأة هو الوحيد الذي يحبني بصدق ولا يعنفني كأبي وأمي..

انتظرتُ وقتاً طويلاً حتى قام أبي بزيارة لجدي مصطحبنا معه..انتهزت فرصة انشغال أبي عني لبعض الوقت فقمت بالشكوى منه لدى جدي الذي انزعج، وانفعل بشدة ونادى على والدي وقام بتعنيفه بصدقٍ حقيقي..

وقام بتهديد أبي بأنني إذا شكوت منه مرةٍ أخرى فسيجيء جدِّي إلينا، ويأخذني لأعيش في كنفه..

ثم قال لأبي إنه لا يصلح كأب وإنه – أي جدي – قد فشل في تربية ابنه..

كانت الطامة الكبرى بعد مغادرتنا لمنزل جدي حيث قام أبي يومها بمجرد دخولنا إلى منزلنا بضربي ضربًا مبرحًا فقدت الوعي على إثرِه لمدة يوم أو بعض يوم..

خرجت من تلك التجربة ببضع كسور وشروخ قد شفيت منها بمرور الوقت..

ودرسًا لم أنسه ما حييت..

لا تتكلم..

لا تشكو أبدًا..

فلن ينقذك أحدًا مني..



الورقة الخامسة

(٥)

عقلي مشوش .. تومض به آلاف الذكريات والمشاهد الغير مترابطة والتي لا أستطيع تفنيدها.

لا أعلم لماذا تزورني في يقظتي ولا تزورني في أحلامي..

ربما لأن نومي هو ملاذي الأخير والوحيد..

ظلت الذكريات السيئة تهاجمني..لكن أكثرها بشاعة على الإطلاق هي عندما سمعت صوت (الآخر) في غرفة العقاب من بعدها والأمور تزداد سوءًا معي..

ففي إحدى الليالي العاصفة وهزيم الرعد يقضي مضجعي ويقلقني، والبرق يصنع ظلالًا مخيفة على ذلك الجزء من الجدار المواجه لي الذي يسقط عليه..

بينما أتململ في فراشي مستجديا الراحة في النوم..لكن النوم أبَى أن يُسَكِن لي آلامي في تلك الليلة وقد قرر بالاتفاق مع تلك العاصفة على إثارة خوفي أكثر..

أثناء تململي .. سمعت صوت خطوات ثقيلة تتحرك في محيطي..كان وجهي مقابل للجدار بجوار فراشي..بينما ظهري مواجه لسرير أخي ولباقي الغرفة..

لم ألقْ بالًا بالأمر في البداية فقد ظننت أنَّ أخي الذي يشاطرني نفس الغرفة سيذهب ليشرب مثلًا أو يقضي حاجةً وذلك هو صوت خطواته...

مرت دقائق..لم يفتح فيها صوت الباب..

ارتعدت من الخوف..



التفت ببطءٍ حيث فراش أخي لأجده خاليًا..دبَّ الرعب في قلبي..

إذن لمن كانت تلك الخطوات الثقيلة التي كانت تمرح منذ قليل وراء ظهري!!..

تملك الرعب مني وهزيم الرعد صنع سيمفونية مخيفة مزعجة مع نبضات قلبي المرتفعة..

انكمشت في سريري، وغطيت وجهي بأكمله بلحافي الذي أتدثر به..

حاول عقلي تشغيل دفاعاته كي لا أصاب بنوبةٍ قلبية من الخوف..

بدأ النوم يغزو جفوني فجأة...

أُغمض عيناي رويدًا رويدًا..

حتى.

حتى أحسست بوقوف شخصٍ ما خلفي..

رفعت اللحاف ببطءٍ شديدٍ عن وجهي لأرى ظل شخصٍ ما ساقط على الجدار المقابل لي..

بدأت الدموع تنساب من عينيَّ بصمتٍ وفقدت السيطرةَ تماماً علي نفسي وإن قمت بكتم أنفاسي..

وشعرت بخيط البول الدافئ ينساب على فراشي مبللًا إياه..

لم أتمالك نفسي ونظرت خلفي..لأجد أخي واقفًا على بعد أمتارٍ قليلةٍ من سريري، وهو ينظر إليَّ بطريقةٍ غريبة..

ليست مخيفة ولكن غريبة..

المفترض أنَّ وجود أخي معي سيطمأن قلبي قليلًا..



لكن وجود أخي هو ما زاد من خوفي..

الغرفة كانت خالية منذ لحظات إلَّا مني..الباب مغلق ولم أسمع صوت فتحه أو إغلاقه أبدًا..لم أسمع سوى صوت الخطوات فقط..

فكيف دخل أخي إلى الغرفة؟.

حاولت التعامل مع الأمر بطريقةٍ عادية حيث قررت أن أخفي خوفي بداخلي ولو لفترةٍ مؤقتة..

وقلت بصوتٍ مرتجف خرج من شفاهٍ قد اغتصبها الخوف:

لماذا تقف هنا يا أخي محملقًا في؟.

لم يرد علي وظل واقفًا كتمثال من الشمع البارد أغلب ملامحه غارقة في ظلامٍ لا يبدده ضوء البرق الآتي من زجاج النافذةِ الصغيرة..

لم أستطع سوى أن أرى لمعان عيْنَيه الغريب..والمخيف.

كان الخوف قد بلغ مني مبلغه فارتفع صوتي بحدةٍ وأنا أقول لأخي:

خالد أنت تُخيفني أرجوك كُفَّ عن هذا..

سادت لحظات من الصمت شعرت حتى أنَّ العاصفة التي بالخارج قد صمتت مع صمتنا..لم يقطع الصمت سوى حركة خالد بأن هزَّ رأسهُ يمينًا ويسارًا كأنه يقول لا لي بمنتهى البطء..

ثم التف ومضى خارجًا من الغرفة..العجيب في الأمر إنني لم أسمع صوت خطواته وهو يبتعد خارجًا من الغرفة..

ظللت على حالتي لفترةٍ طويلة من الصمت لم يقطعها سوى هزيم الرعد الذي عاد يدوي بمجرد خروج أخي من الغرفة..



خوف..قلق..تعجب..مزيج يعصف بنفسي ويجثم على صدري كاتمًا أنفاسي..

ضايقني أكثر البلل الذي أصاب سريري..

نهضت متأففًا من فراشي لاعنًا أخي في سري لأُنير ضوء الغرفة ثم عدت لأجلس على طرف الفراش الملوث ببولي..

لحظات حتى انتظم تنفسي قليلًا فنهضت مرةً أخرى..

فتحت دولابي غيرت ملابسي المتسخة ثم بدلت الملاءة الملوثة بأخرى نظيفة..

ثم وضعت الملاءة والملابس المتسخة داخل الدولاب مرة أخرى!..

وجلست مرة أخرى على السرير..تذكرت أنَّ اللحاف قد يكون أصابه شيئًا من البول..فرميته أرضًا بغضبٍ شديد..

عندها دخل خالد أخي الغرفة وهو متعجب من حالي وبادرني متسائلًا بصوتٍ متعجب:

لماذا أنرت الغرفة، ولماذا تجلس هكذا؟.

رددت عليه بصوتٍ غاضب: أنرت الغرفة لأنك أفزعتني بالوقوف خلفي كاللصوص يا خالد.

ظهرت الحيرة حقيقية علي وجه خالد وهو يقول بصوتٍ غير مصدق لما أقوله:

أنا لم أدخل الغرفة منذ أن استيقظت صباحًا أيها التعس..

ارتجف جسدي رغمًا عني وأنا أقول:

أرجوك يا خالد أنت تخيفني فعلًا..لو كان هذا مُرادك وما تصبو إليه فقد تحقق الآن وقد نجحت في هذا..



رد خالد بشيء من العصبية:

أنا لا أكذب قط..أنا لم أدخل الغرفة اليوم..

كل ما في رأسك هي خيالات..عقلك قد أصابه خللًا ما بسبب ضرب أبيك المستمر لك على رأسك..

قال شطر جملته الأخير ساخرًا ثم أطفأ الأنوار وذهب إلى سريره صامتًا في حين بقيت أنا جالسًا مكاني..

أفكر..وأتساءل..

هل كل ما حدث لي الآن مجرد وهم فعلًا..

ولم أحاول قط التفكير في إجابة سؤالي..

***

انتهى الضابط من قراءة الورقة الخامسة من مذكرات أمجد..لم يكن خائفًا بقدر ما كانت مئات الأسئلة تعصف بذهنه..

هو يعلم أن التربية السيئة للطفل قد ينتج عنها العديد من الأشياء والأشخاص..

قد ينتج عنها مجرم أو مدمن أو قاتل أو جبان..

قد ينتج عنها أي شيء وكل شيء..

لكن الأمور غير واضحة إليه حتى الآن..تلك المذكرات التي أمامه قد لا تعني أي شيء في نظر أي أحد..

كان يبدو عليه التعب والإرهاق الشديدين من جراء سهره على مفردات تلك القضية..



زفر بقوةٍ ومرر أصابعه متخللًا شعره وبدأ يعبث في الورق مجددًا حتى سمع صوت طرقات على باب مكتبه فسمح لصاحبها بالدخول إليه..

كان الضابط محمد صديقه هو الطارق الذي دخل المكتب بابتسامةٍ مرحة كعادته وهو يحمل في يديه كيس بلاستيكي شفاف وهو يقول بصوتٍ ودود :

كيف حالك يا حضرة الضابط..لقد أحضرت لك إفطارًا معي لكن أرجو أن لا تعتاد هذا أبدًا..

ابتسم الضابط كريم في إرهاقٍ شديد فقد كان في حالةٍ لا يرثى لها بالفعل ويحتاج إلى طعامٍ وراحة وتبغ بدلًا من الذي نفذ منه فقال لمحمد:

صدقني يا محمد أنا فعلًا جائع فلقد نسيت حتى أن أطلب من أحد العساكر أن يأتيني بشطيرةٍ أو اثنتين حتى أفطر وكذلك نفذ تبغي ولم أنتبه لهذا مُطلقًا..حتى إنني يا صديقي لا أعلم كم الساعة الآن..

نظر محمد في ساعته ثم قال له : الساعةُ الآن السابعة صباحًا..الآن يستيقظ العالم ونحن لم ننم بعد.

رد كريم: هذا واجبنا.

غمغم محمد: أجل واجبنا..

ثم أزاح كوْمة الأوراق وملف القضايا من على المكتب وفض الكيس البلاستيكي ووضع بضعةَ شطائر أمامه وأمام محمد وهو يقول :

تُرى ما تلك القضية التي تنسيك إفطارك وتبغك وتوقيت بلدك التي تخدمها؟

تناول كريم شطيرة من أمامه وقضم منها قضمة كبيرة أخذ يلوكها بشراهة وقال:

ذلك الشاب أمجد..أتدري ماذا وجدنا في شقته أثناء تفتيشنا لها؟..



لم يردْ مُحمد الذي انشغل عن حديث كريم بأكل الشطائر فوضع محمد شطيرته جانبًا وأخذ يعبث في الأوراق التي على مكتبه وقد ازداد فوضى بعد قيام محمد ببعثرة محتوياته وبعد عدة لحظات كان كريم ممسكًا بورقةٍ في يده وهو ينظر إلى محمد مباشرة ويقول له:

وجدنا مذكرات هذا الشاب..لكن الحقيقة إن ما قرأته في مذكرات هذا الشاب حتى الآن يبعث على التعجب والدهشة وربما بعض الخوفِ أيضًا..

ضحك محمد وهو يقول بسخريةٍ لاذعة:

حضرة الضابط الشجاع خائف من مجرد كلماتٍ كتبها شاب تافه ما..يا صديقي إن هذا ما هو إلَّا حبر على ورق فقط لا غير..

خوفك هذا إن قام شخصًا ما يحبك بإيصاله للقيادات، فلن تترقى أبدًا..

غضبَ كريم من طريقة محمد فمسح يده وفمه بمنديلٍ ورقي ثم قال لمحمد :

حسناً أيها المتحذلق البغيض سأقرأ عليك جزء من تلك المذكرات وأنت ستحكم.. وقتها لنري من منَّا ستتأخر ترقيته..

ترك محمد طعامه ومسح يده بدوره ثم أخرج علبة سجائره أعطى صديقه لفافة ..تناول الأخرى وأشعلها متلذذًا وهو يقول لصديقه بسخريةٍ:

حسنًا كلي آذانٌ صاغية أيها الهُمام..ولكن اطلب لنا في البداية كوبين من الشاي حتى نستطيع التركيز في الأمور المخيفة التي ستقولها..

لم يرد عليه كريم فهو يعلم أنه بمجرد أن يبدأ في قراءة المذكرات على صديقه فستختفي سخريته..لفترةٍ طويلة

***



الورقة السادسة

(٦)

ظلت الأحداث الغريبة والغير طبيعية تلاحقني وكأنِّي مغناطيس أو كأن الدنيا لم يعد فيها إنسان غيري..

لا أعلم لماذا أنا بالتحديد؟؟.

لكني أقسم أن الأمر لا يبدو طبيعيًا أبدًا..

فهناك مواقف غريبة مررت بها أكثر من أن أستطيع ذكرها في أوراقي..لذلك فأنا لم أذكر إلَّا المواقف التي قد تركت في أثرًا..

أنا لا أذكر إلَّا المشاهد التي تأبى أن تترك ذاكرتي..

الأشياء التي أراها في نومي وفي يقظتي هي ما كتبته فقط..

في واحدٍ من تلك المواقف كان عمري وقتها سبعةَ عشرَ عاماً كانت علاقتي بأهلي قد تحسنت قليلًا بدون أي سبب..

لكن ظلَّ هناك بعض التوتر الذي يشوب علاقتي بأبي..

الغريب أنَّ أخي أصبح يتجنبني تمامًا وكأني مصاب بالطاعون ولا أدري لماذا؟..

أمي أيضا تتجنبني ولكن ليس بالنهج الذي ينتهجه أخي..ربما هو الشعور بالذنب تجاهي هذا ما هداني إليه تفكيري...

المهم في هذا الموقف كنت في غرفتي أمشط شعري وأستعد للخروج من المنزل..
كنت وحدي لم يكن معي أحد بالمنزل وقتها..



انتهيت، عدلت هندامي ملقيًا نظره أخيره على شكلي في المرآة..

رأيت انعكاسي في المرآة متجهم على الرغم من إنني كنت أبتسم وقتها برضًا تام.. أو أن هذا هو ما خُيِّل إلي..

طرحت الأمر جانبًا وهمَمْتُ بالخروج من غرفتي لكن التيار الكهربائي قد سبقني وانقطع. لأغرق في ظلامٍ تام..

لم يكن ظلامًا عاديًا بل كان ظلامًا دامسًا وثقيلاً..

ظلامٌ تام سَرمدي لا نهاية ولا بداية له..ظلامٌ يحيط بك ويجْثم على صدرك.. سيمنعك من التنفس وربما تشعر بالاختناق..

حاولت أن أتحرك لكن الخوف كان قد تمَلَّك مني..

ثم سمعت تلك الأصوات..

مئات الهمسات تهمس في أذني بنفس التوقيت..

آلاف الكلمات لم أستطع تفسير إلَّا العشرات منها فقط..

أنت قاتل.

ميت.

ملعون.

لن تنجو.

أنت لنا..

أنت منَّا.

أنت الشر.



شعرتُ بالذعرِ وبدأت أحس بآلام شديدة في أعلى كتفي الأيسر بدأت أتصبب عرقًا وأشعر بوخزٍ شديدٍ في صدري..أود أن أصرخ مستنجدًا لكنَّ الصراخ لا يتجاوز حلقي ..

ربما صرخت..فقط في خيالي..

التنفس أصبح عسيرًا للغاية..أصبح محيطي يتكون فقط من ثاني أكسيد الكربون بدون أكسجين..

الهمسات تخترق عقلي محرقة خلاياه الرمادية..

صداع رهيب..

أسقطُ أرضًا..

لا أستطيع النهوض..

فجأة صمتت الهمسات..

عمَّ السكون أرجاء الكون كله..

ثم سمعت ذلك الصوت يخترق الظلام من خلفي واضحًا جليًا لا شك ولا ريب فيه يقول جملة واحدة فقط:

أنا هنا..

***

نظر محمد إلى كريم لفترةٍ طويلة ثم قال بحدةٍ:

ما معنى هذا الهراء؟.

رد كريم حائرًا:



صدقني لا أعلم.

أشعل محمد لفافةَ تبغٍ وهو يقول بعصبيةٍ:

هل يمكن أن تكون تلك المذكرات مفتعلة؟ من الممكن أن تكون قصة من قصص الرعب التي يكتبها الشباب في هذه الأيام بكثرة؟هل كُتبت مثلًا لتضليل المباحث؟.

رد كريم: لا أعتقد ذلك تلك المذكرات قد كتبت على فتراتٍ زمنيةٍ متباعدة، تستطيع أن تدرك هذا من الخط المكتوب بها لكن طريقة سرد الأحداث واحدة لا تتغير..حتى لو افترضنا أنها مختلقة فماذا سيستفيد مختلق تلك المذكرات..

زفر محمد دخان سيجارته وهو يقول بارتباكٍ غير مبرر:

الأمر غريب حقًا..ربما ...لا أدري حقًا يا صديقي..لكن الأمر مريب..تلك القضية ليست بالتأكيد تقليدية.

وافقهُ كريم بإيماءةٍ من رأسهِ قائلًا:

لن أبالغ إذًا إذا قُلت أن تلك القضية هي من أغرب القضايا التي قد مرت عليَّ أثناء عملي في المباحث..

نهض محمد من على مقعده مُنهيًا الحوار والزيارة بأكملها قائلًا: سامحني يا صديقي أنا لدي أيضًا ما يؤرقني..لكن إذا احتجت إلى أي شيء كلمني فورًا ولا تتردد وأنا سأحاول مساعدتك بقدر ما أستطيع..

ثم ودع صديقه الذي لم ينبسْ ببنت شفةٍ تاركًا إياه فريسة سهلة للحيرة تفعل به ما تشاء..

فلم يجد كريم بُد من أن يستكمل قراءة تلك المذكرات عسى أن يجد فيها جواب..



الورقة السابعة

(٧)

بعد موقف انقطاع التيار الكهربائي الذي حدث لي وأنا بمفردي في المنزل، بدأ صوت (الآخر) يزورني مرات عديدة في اليوم..

لم يكن يقول كلمات أو جمل مفهومة..بل يقول كلمات متقطعة، غير متصلة، لا تستطيع تكوين جملة واحدة مفيدة من تلك الكلمات..

لكن أحيانًا كان يتحدث عن أهلي..

لا أتذكر ما كان يقوله!!..

فقط أتذكر أنه تحدث عنهم ببضعةِ كلمات لا تُسمن ولا تُغني من جوع..

أنا لم أستطع الصمود أمام هذا التغيير الطارئ والمتسارع في الأحداث..

فطوال سنوات كان يمكن أن تمر أيام دون أن أسمع همسات الآخر لكن منذ هذا الموقف وهو معي دائمًا..

أشعر أنَّه يراقبني..

لن أكذب عليك يا من تقرأ حروفي الآن..

أحيانًا كنت أشعر بالاطمئنان عندما يتحدث إلي..

لكني جبان..

لن أتحمل هكذا وضع..



أحتاج إلى شخص ما أتحدث معه بقدر كبير من الحرية..وبالتأكيد لن يكون هذا الشخص هو أحد أفرادٍ عائلتي الجميلة الميمونة..

تعبت من التفكير وشعرت أن قدراتي العقلية تتسرب مني رويدًا رويدًا حتى إنني سأغدو كالمجاذيب الذين يهيمون على وجوهم في الشوارع..

أخذت وقتًا طويلًا في الشخص الذي سأستطيع التحدث إليه بدون أن يتهمني بالخرف أو الجنون التام..

وطرأت على بالي فكرة..

لماذا لا أذهب إلى طبيب نفسي!!؟.

فهو الوحيد إلي سيكون قادرًا علي التعامل مع حالتي تلك سواء السابقة أو الحالية..

فبيَّت النية وعقدت العزم، وقررت الذهاب إلى أحد أشهر الأطباء النفسيين في مصر..لعل شفائي من علتي يكون على يداه..

***

قدم لي يا عزيزي دليلًا واحدًا

على أنَّك إنسان لست مجنونًا

***

من قال أن المجنون لم يخترْ جنونه !.

***



الورقة الثامنة

(٨)

~ الجلسة الأولى~

جلستُ في عيادة ذلك الطبيب النفسي الذي يُعد الأشهر والأبرع في مجاله بشهادة الكثيرين..

جلست أتأمل الموجودات من حولي، يغلب اللون الأبيض على الجو العام لتلك العيادة التي تقع في أحد أرقى أحياء القاهرة..

تصميمها حديث بسيط غير متكلف..

أرى العديد من اللوحات الفنية معلقة على الحائط..لم أرى منها سوى بقع مختلفة من الألوان..هذا ما يطلقون عليه الفن التجريدي..

كذلك هناك سماعات موزعه في أركان حجرة الاستقبال في العيادة..وكذلك لمحت كاميرا أو اثنتين للمراقبة..

مللت من تأمل ديكور العيادة فبدأت بمراقبة المرضى الذين ينتظرون دورهم للدخول عند الطبيب مثلي تمامًا..

لم يبدْ على هؤلاء المفترض أنهم مرضى أي مشاكل نفسية أو جسدية أو حتى مادية..

فجميعهم كانوا من الطبقة الراقية لمجتمعنا الجميل جدًا..



ذلك الرجل الجالس أمامي الذي يرتدي بذلة تحمل شعار أحد بيوت الأزياء العالمية لا أعتقد أنه يعاني من أي مشكلة..فثمن سترته فقط دون باقي البذلة كفيل بإطعامِ أسرة لمدة شهرٍ كامل..

ثم لماذا يحضر رجلًا ما جلسةْ طبيبةُ النفسي ببذلة سهرة؟!!..

هذا ليس وقتها إطلاقًا..

وماذا عن تلك السيدة التي تجلس عن يساري.. ملابسها تكشف أكثر مما تستر من جسدها..

الملابس التي تبرز الأرجل والنهود مكانها بالتأكيد ليس عيادة طبيب نفسي..

وتلك النظرات المريبة التي تطلقها نحوي من حين لآخر.. لا أعتقد أنها تعاني من أي مشكلة..

تساءلت بداخلي سؤال أخافني كثيرًا..

تُرى هل كلهم يعانون من وجود (الآخر) في حياتهم؟..

أربكني ذلك الخاطر وأرعبني.. حاولت نفض تلك الأفكار بعيدًا عن رأسي..

ونجحت بهذا بالفعل..ولكن الذي ساعدني على هذا هو ملاحظتي لتلك النظرات التي ترميني بها تلك الممرضة الحسناء..

كانت جميلة للغاية ذات قوام ممتلئ بعض الشيء، كما يروقني تمامًا..خصلات شعرها الأسود المنسدل على كتفيها بنعومةِ شلال حريري يجعل أقسي الرجال ينهار أمامها.. كانت مثيرة ومغرية إلى أقصى حد..

تلاقت أعيننا أكثر من مرة، وفي كل مرة كنت أحاول ألا تطول نظراتي إليها..فقد كنت أشيح بوجهي سريعًا بعد كل مرة أنظر فيها إليها..



حتى انتهى بي المطاف مُطرقًا إلى الأرض مُتجنبًا النظر إلى أي شخص أو شيء حولي..

مر وقت طويل للغاية علي وأنا جالس مكاني أكاد أموت من شدة الملل وقد راودتني فكرة الخروج من تلك العيادة وعدم العودة مجددًا لكن قَطع حبل أفكاري ارتفاع صوت نغمات موسيقية هادئة انبعثت من كل مكان حولي، بمجرد أن سمعت الممرضة الحسناء هذا الصوت حتى نهضت مسرعة وهرولت باتجاه غرفة الطبيب ودلفت إليها، وبعدها بلحظاتٍ قليلة خرج المريض الذي كان بغرفة الكشف..بينما وقفت الحسناء على باب غرفة الطبيب ثم نادت على اسمي الثلاثي بصوتٍ رقيقٍ للغاية..

نهضت بخطواتٍ متثاقلة..أقدم قدم وأؤخر الأخرى..سرت ببطءٍ قدر استطاعتي حتى وصلتُ إليها وهي واقفة على مدخل غرفة الطبيب..

لم تحاول الممرضة قط إفساح الطريق لي لكي أدخل بل وقفت متعمدة حتى يحتك جسدي بجسدها أثناء مروري..

حاولت تفاديها بقدر الإمكان وأنا أمر لكنني لامست جسدها مجبرًا بالطبع..

تساءلت فيما بعد لماذا لم أطلب منها بتهذيب أن تُفسح لي الطريق..

وعزوت عدم حدوث هذا إلى خجلي وخوفي من الموقف برمته!!

لكن بالنهاية دخلت إلى غرفة الطبيب وحدي وخرجت هيَ..

كان الجو العام في غرفة الطبيب مريحًا للأعْيُن وهادئًا إلى حدٍ كبير، لون الجدران الأزرق السماوي والسقف الأبيض اتحدا مع تلك المقطوعة الموسيقية الكلاسيكية، التي تنساب من سماعات دقيقة وحديثة موزعة باحترافية شديدة للغاية في جميع أركان الغرفة لتجعلك تشعر بالموسيقى من كل اتجاهٍ حولك..



مكتبة صغيرة في مقدمة الغرفة تحتوي على العديد من العناوين الإنجليزية وفي نهاية الغرفة يقبع مكتب زجاجي أنيق عليه حاسب محمول أمريكي حديث أبيض اللون..

بينما يجلس الطبيب في منتصف الغرفة تمامًا على مقعد وثير يقابله (شيزلونج)..

تبخَّرَ ترددي وقلقي في لحظاتٍ بالأخص عندما نظرت إلى ذلك الطبيب النفسي بملامحهِ الهادئة المنمقة الوسيمة وبذلتة الشبابية الخفيفة التي يرتديها..

كان رجلًا في أوائل العقد الثالث من العمر عكس ما توقعته له تمامًا..

فقد توقعت أن أحدَ أشهر الأطباء النفسيين في القاهرة سيكون رجلًا عجوزًا شعره أبيض مبعثر كأينشتاين محني الظهر ولديه ذقنًا كثيفة ويدخن غليونًا بشراهة..

لكن الرجل الذي أمامي قد خالف كل توقعاتي بشعره المصفف بعنايةٍ بالغة وكأنه نجم سينمائي..ذقنه الحليقة، وهدوئه الشديد..للغاية.

جاءني صوته مُهذبًا رخيمًا يطلب مني بهدوءٍ بالغ الجلوس على الشيزلونج أمامه، ثم سألني بنفس اللهجة المهذبة إن كنت أريد شرابًا معينًا أو أن يخفض صوت الموسيقى مثلًا لكني شكرته بلهجةٍ مهذبةٍ مثلهِ تمامًا وانتظرت أن يبدأ هو بالحديث..

بدأ حديثه معي بنفس اللهجة المهذبة قائلًا وهو يرتب عدة أوراقٍ في يده:

كل ما ستقوله يا أمجد سيظل سرًا لا يخرج من هنا أبدًا..أريدك أن تسترخي تمامًا وتقول لي كل شيء بدون خجل أو خوف..فقط تشجع وأعطني كل ما لديك..

أخذت شهيقًا عميقًا في محاولةٍ يائسةٍ مني للسيطرة على أعصابي المرتبكة وإن نجحت لهجة الطبيب الهادئة في طمأنتي قليلًا فعاجلني الطبيب مستفسرًا: كم عمرك؟.

قلت له سريعًا: أنا أبلغ من العمر تسعةَ عشرَ عامًا وثمانية أشهر.



ابتسمَ لإجابتي ثم عاد يسألني: هل لدى أحد أفراد عائلتك تاريخ مرضي عصبي أو نفسي؟..

هززت رأسي نفيًا ولاحظت لأول مرة جهاز التسجيل الأسود الصغير الذي يقبع على مسند كرسيه بينما يقوم هو بتدوين بعض الملاحظات في أوراقه من حينٍ لآخر..

انتهى من تدوين ملاحظاته، ثم عاد يقول لي بنفس اللهجةِ الهادئة:

جيد جدًا، الآن أريدك أن تحكي لي كل ما تشكو منه وكل ما تشعر به وكل مشكلةٍ تؤرقك منذ أن اكتمل وعيك في هذه الدنيا..وأرجو أن لا تغفل أي تفاصيل مهما بدت لك صغيرة وغير مهمة..فكما تعرف أنَّ الشيطان يكمن في التفاصيل..

كذلك المرض النفسي ما هو إلَّا التفاصيل الصغيرة من حياتك..

قلت بصوتٍ منخفضٍ متردد:

أنا أسمع أصوات..

بدَا الاهتمام على وجه الطبيب الذي مال ناحيتي برأسه وهو يقول بطريقتهِ الهادئة:

هل لي بمزيدٍ من التوضيح من فضلك..

حاولت التغلب على ترددي فقلت مندفعًا وكأنني خائف من أن تهرب الكلمات من على لساني:

أسمع أصوات هنا، داخل رأسي..

أقرنت قولي بأن أشرت بسبابتي على جمجمتي..

صمت الطبيب لحظات تفرس فيها ملامح وجهي جليًا ثم قال:

وماذا تقول لك تلك الأصوات يا أمجد؟



لا أعلم حقًا يا دكتور، أغلب الكلمات لا أفهمها فهي غير ذات معنى إن حاولت أن ترتبها

لكن بالتأكيد هناك كلمات قد استطعت أنت أن تفهمها بوضوحٍ..

بتردد قلت: أجل.

سألني: مثل ماذا؟

أزفر، عرقي يغمر وجهي رغم البرودة التي يبثها التكييف بالغرفة..لساني أحسه معقود لا يريد أن ينطق بالكلمات..

بعد معاناة استطعت أن أقول بصوتٍ خفيض:

سمعت الصوت يقول آخر مرة بوضوحٍ يقول «أنا هنا» تلك فقط الجملة التي أستطيع تمييزها من بين كلماته..

قال الطبيب بلهجةِ من عاش واختبر هذا الموقف مئات المرات من قبل:

حسنًا متى أول مرة سمعت فيها هذا الصوت؟

نظرت في اللاشيء أمامي وشرعت أحكي له كل تفاصيل حياتي كأنني آلة تسجيل..

أتحدث بدون مشاعر فقط أقص عليه الأحداث كما أكتبها الآن في تلك المذكرات..

بدون أن اغفل أي تفاصيل مهما بدت لي غير ضرورية كما طلب مني هوَ..

بعد أن انتهيت من قص حكايتي نظر لي الطبيب مليًا، ثم دوَّن بعض الأشياء في الأوراق التي معه ثم سألني وهو ينظر في عيني:

وأهلك، لقد قلت لي أن هناك تغيير في تعامل أهلك معك هل هو تغيير حقيقي وملموس أم أن هذا مجرد شعور فقط منك؟



قلت له سريعًا:

لقد تحسنت الأمور قليلًا بالفعل، أقلَّها إنني لم أعد أُضرب طوال الوقت..

شعرت بشفقة الطبيب علي في نظراته لكنه أخفى شعوره باحترافيةٍ شديدة، كرهت ذلك الشعور ولكني قبلته على مضض..

عاد الطبيب ليسألني مرة أخرى بتركيزٍ واهتمامٍ شديدين: هل أوحى لك الصوت بفعل أمرٍ ما من قبل، أو بصورةٍ أدق هل طلب منك هذا الصوت فعل شيئًا معينًا.

ببطءٍ شديدٍ أجبت بنعم..

***

في عصر أحد الأيام، كانت أمي واقفة في المطبخ تُعد لنا طعام الغداء، وأنا أقف بجوارها كان عمري وقتذاك خمسةَ عشرَ عامًا. كان وضعي بالمنزل أفضل من ذي قبل قليلًا لم أعد أعاقب عقابًا شديدًا ونسيت غرفة العقاب تمامًا..

لكن لا ضرر من بضعة صفعات وركلات؛ كي لا أنسى الماضي..

كانت تحمل توقيع أبي..كالعادة.

أما أمي فقد بدأت تتعامل معي بهدوءٍ مُريب..بينما يتجنبني أخي وكأني شفاف..

لا أذكر بالضبط كيف بدأ الحديث بيني وبين أمي في هذا اليوم لكن كل ما أذكره سؤالي لها..

"أشعر أحيانًا أني لست ابنكم...لماذا تكرهيني أنتِ وأبي إلى تلك الدرجة يا أمي؟."

دوى صوت (الآخر) في عقلي فجأة: أعتقد إنك لست من دمهم..أنت لست منهم.



شعرت بالدنيا تدور من حولي ودقات قلبي تركض كأنها في سباقٍ لضخ الدم..

أخافني مغزى كلام الآخر وليس صوته الذي يدوي في عقلي، فخرج صوتي عاكسًا خوفي: هل أنا لقيط مثلًا؟.

أخرجني صوت أمي الهادئ على غير العادة من حالةِ الذعر والخوف التي انتابتني قائلة وهي تبتسم ابتسامة خفيفة:

من قال لك هذا يا أحمق، بالطبع أنت ابننا..ولكننا نريد أن نربيك تربية صحيحة فقط..فالدنيا أصبحت كما الغابة لا فرق بينهما وتربية الأطفال مهمة صعبة وشاقة..بل إن إنجابهم من الأساس يُعد مجازفة غير مأمونة العواقب..

رددت عليها بحنقٍ: إذًا لماذا أنجبتموني؟.

ردت قائلة ببساطة: لأن تلك هي سنة الحياة، وما خُلقنا من أجله..

عاد صوت (الآخر) يصعق خلايا مخي مرة ثانية قائلًا: إنها تكذب، إنها تكرهك ألا ترى هذا في عينيها، ألا تسمعه في صوتها، ألا تراه في تصرفاتها هي والذي يدَّعي أنَّه أبيك؟..

بمجهودٍ مضني ومحاولات مستميتة حاولت تجاهل صوت الآخر وأنا أقول لها: لقد عشت معكم حياة صعبة للغاية، لم أعش طفولتي كأي طفلٍ آخر..

ثم بدأت نبرة صوتي ترتفع والغضب يظهر فيه وأنا أقول: لقد كنت دائمًا أحاول تنفيذ أوامر أبي وإطاعتك أنتِ وهو وماذا كنت أجني مقابل هذا..ها..أجيبيني الآن؟؟..

توقفت أمي عن ما تفعله ونظرت لي بهدوءٍ أغاظني وهي تقول: نحن دومًا كنا نفعل ما نراه في صالحك أنت وأخيك فأنتم أولاد هذا الجيل تفتقرون إلى القيم والعادات التي قد تُعينكم على العيش في هذا العصر..لقد تغير الزمن تمامًا عن ذي قبل..



صمت ولم أستطع الرد أمام المنطق الغريب التي تحدثني به..

غرقت في لُجة أفكاري في حين عادت أمي لما كانت تفعله لأسمع في نفس اللحظة صوت الآخر في أذني كفحيح الثعبان:

سكين..الآن.

توجه نظري تلقائيًا إلى الرف المقابل لي الموضوع عليه السكاكين والأدوات الحادة الأخرى الخاصة بالتقطيع، والآخر يستمر قائلًا بنفس النبرة:

ما رأيك أن تسكت تلك السيدة إلى الأبد وتنتهي من عذابك إلى الأبد؟.

لم أشعر بنفسي..فقط يدي تمتد ببطءٍ شديدٍ ناحية واحدة من السكاكين الكبيرة.. حاولت منع نفسي لكني لا أستطيع، قوى أكبر وأقوي مني تحركني..قوة لا فكاك منها..

فقدت تمامًا السيطرة على جسدي..

حتى سمعت صوت صياح أخي وهو ينادي على أمي، فحاولت سحب يدي للمرة الأخيرة بيأسٍ والأمر العجيب إني استطعت سحب يدي بسهولةٍ ويسر وكأنها قد تحررت واستعدت سيطرتي عليها..

وسمعت صوت همس الآخر غاضبًا :

أحمق كبير، كان بإمكانك التخلص من أمك وأخوك في مرةٍ واحدة حتى تنتقم لنفسك..وبعدها كنت سأتدبر أمر أبيك بنفسي..

لكن هيا انظر إلى نفسك الآن أنت حطام إنسان، ليس لك وجودٌ أو فائدةٌ تذكر..

أنت مجرد إنسان ميت..

***



انتهيت من روايتي فشَخَصَ الطبيب بعينهِ في الفراغ للحظاتٍ قليلة..ثم اعتدل في جلسته، وأخذ يدون بعض الملاحظات في أوراقه ثم عاد يقول لي باهتمام مستفسراً: قل لي يا أمجد أريد أن أعرف رأيك بصراحةٍ شديدة..هل تعتقد فعلًا إنك تعاني من علةٍ نفسيةٍ ما، أم أن هناك ظواهر خارقة للطبيعة تحدث معك بشكلٍ أو بآخر؟؟..

صمتُ قليلًا أحاول ترتيب أفكاري وقلت بصوتٍ متردد ببطءٍ: حقًا أنا لا أعلم، لا أستطيع أن أحدد ما أنا فيه وإلَّا لماذا لجأت لك؟؟.

قال لي الطبيب بلهجةٍ مُطمئنة: لا تقلق أنا أريد فقط معرفة رأيك الشخصي فيما يحدث لك ليس إلَّا؟.

قلت بلهجةٍ مترددة: أحيانًا أشعر أني ممسوس، أو هناك كيان أقوى مني بمراحل يعبث بي وبعقلي، لكني في نفس الوقت أشعر أنني قد بدأت أفقد صوابي..وأن كل ما أعانيه مجرد هلاوس وأوهام..

رد الطبيب بسرعة وكأنه كان ينتظر تلك الإجابة المطاطية: أنت لم تجب علي سؤالي بعد؟.

قلت له: هل تراني أنت مجنون؟.

أنت الطبيب النفسي هنا ولست أنا؟!!

الطبيب هز رأسه يمينًا ويسارًا وقال:

الجنون شيء، والمرض النفسي شيء آخر وما تعانيه أنت شيء لا علاقة له بالاثنين..شيئًا مغايرًا تمامًا..

حاول تغيير دفة الحديث فاستطرد قائلًا: قل لي أنت..

هل حدث أنه في أحد الأيام قد جربت أن تجاري هذا الصوت مثلًا وأن ترد عليه؟.



بصوتٍ مُرتجف قلت: أجل..ذات مرة منذ حوالي سنة خُضت مع الآخر حديث قصير لم يكن ودي بأي حال من الأحوال..لكنني لم أستفد كثيرًا بهذا الحديث للأسف.

رد الطبيب بصوت مُندهش: الآخر؟!.

من هو هذا الآخر؟.

رددت عليه بصوتٍ شديد الارتباك: هذا الصوت، أنا أطلقت عليه لقب الآخر.. صراحة هو من أوحى إلي بهذا اللقب.

قال الطبيب ومازالت الدهشة جلية على ملامح وجهه: ولماذا الآخر؟!.

قلت: أنا لا أعلم ماهيته حتى أستطيع مناداته أو تلقيبه بلقبٍ أفضل من هذا، لقد أطلقت عليه الآخر مجازًا..

في الحقيقة ليس مجازًا، لكن..

لم تسعفني الكلمات فقال الطبيب محاولًا إخراجي من مأزقي:

لا يهم الآن، لكن عن ماذا تتحدث أنت وهذا ال... آخر.

***

كُنت مُنعزلًا عن العالم الخارجي..لا أتحدث مع أحد، لا أصدقاء لي..لا أفعل شيئًا سوى ذهابي للمدرسة والعودة إلى المنزل أجلس بغرفتي حتى موعد نومي..

لم أكن اخرج من غرفتي إلا للضرورة القصوى فقط..

وفي حالة وجود أبي في المنزل كنت أتدثر بلحافي على فراشي متصنعًا النوم أو الموت حتي يخرج هو من المنزل فتعود لي جزءًا من حُريتي التي لم أكن أملكها من الأساس..



المشكلة الحقيقية أن عزلتي في بداية الأمر لم تكن اختياري، بل هي إجبارية فُرضت علي من أهلي وكذلك زملائي، لا أحد يود التحدث معي، الكل يتجاهلني..

أحيانًا أشعر أنهم غير موجودين.. أبي أمي أخي معلميني زملائي..لا أشعر بوجودهم.. أو ربما أنا الذي غير موجود..

في تلك السنة كان صوت الهمس قد أضحي أكثر وضوحًا..أصبح يسمع ويفسر بسهولة..وأصبح مخيفًا أكثر..

استطعت تمييز عشرات الكلمات التي يهمس لي بها الآخر.

اقتل - أنت ميت - دورك قادم - أنت لست منهم - أنت لي.

لم تكن همسات الآخر ذات معنى ولكني متيقن أنه يريد مني أن أفعل شيئًا ما هو يريده لكني لا أعرفه..

حتى ولو عرفته فلن أخضع له بتلك السهولة..

أنا شجاعٌ حقًا ولم أسمح له بالسيطرة أو الاستحواذ عليّ..لكن للأسف كان لهذا ثمنًا باهظًا للغاية..

فأنا لم أكن أستطيع قط النوم أو الأكل كما يفعل بقية البشر..

أصبحت شبح وبقايا إنسان، انخفض وزني وهزلت وشحبت بشرتي..فقدت الزمن والوقت..أصبح مستواي الدراسي سيء..الجميع يشكون مني في المنزل والمدرسة وحتى الشارع..

كنت أحاول دائمًا عند سماعي لهمسات الآخر أن أُحَول تفكيري إلى شيءٍ آخر في وقتها.. شيء جميل..لكني لم أجد أي شيء جميل في حياتي أستطيع التفكير فيه عندما تهاجمني همسات الآخر.

راودتني فكرة سخيفة لفترةٍ من الزمن..



فكرت في أن أخبر أهلي بشأن تلك الهمسات التي تطاردني، لكني تخيلت الموقف..

أذهب إلى أبي وأمي وهما جالسين على مائدة الغداء..

أقول لهم أبي، أمي أنا أسمع أصوات داخل رأسي..

سيرمونني بالجنون حتمًا..وسيطردونني من المنزل بعد أن يتبرَّأوا مني، وفي أفضل الأحوال سيقومون بإيداعي مصحةٍ نفسية حكومية رخيصة يقومون فيها بتعذيب المرضى وتعريضهم إلى جلساتٍ كهربائية بحُجة علاجهم..

ربما ستقنع أمي أبي أن يأتوا إلي بشيخ حتى يطرد الجن الذي يستحوذ علي..

ربما يضربني حتى الموت في محاولته المستميتة لإنقاذي من الوقوع في براثن عالم الجان!!.

لن أستطيع إقناعهم بأنني مريض..

ظللت على حالتي تلك أحاول المقاومة حتى أتت تلك الليلة التي لن أنساها طالما ظللت أتنفس..

ليلتها سمعت صوت الآخر يأتيني واضحًا نقيًا لا ريب فيه: ما زالت تكابر؟.

كنت نائمًا في فراشي لحظتها، أحاول النوم، بينما النوم يأبى أن يزور جفوني.. بمجرد سماعي لصوت الآخر لم أشعر بالخوف كالعادة بل بالفضول فحسب لم أشعر بنفسي إلَّا وأنا أرد عليه بصوتٍ شديد الهمس وكأني أخشي أن يسمعني أحد: ما أنت؟.

لحظاتٌ قليلة مرت علي كأنها دهر..

شعرت أنِّي أعيش كابوسًا طويلًا ثقيلًا ملحميًا حتى أتاني صوته أخيرًا هامسًا: بل قُل من أنت؟.



وجدت متعةً ما في الأمر عكس ما كنت أتوقع، وأصبح الفضول هو محركي الرئيسي..فنويت بداخلي أن أحاول معرفة أي شيء بخصوص هذا الصوت..للحظات ظننت أنني لا أحدث سوى نفسي المريضة!..

لكن لا يوجد دليل على مرضي..كذلك لا يوجد على صحتي

قاطع الصوت حبل أفكاري بقوله: لا أنت تتحدث إلي بالطبع لأنك منبوذ لا تجد من تتحدث إليه، لا عائلة لا أصدقاء لا شيء.

أحسست بنبرةٍ سخرية لاذعة في كلامه لكنني تجاوزتها وأنا أقول: ماذا تريد مني؟.

لماذا أنا؟.

قال الصوت بسرعة وكأنه كان ينتظر السؤال منذ بداية الحديث: قُلتها لك وأنت صغير منذ سنوات طويلة للغاية، أنا هنا لمساعدتك فقط ولكن عليك أن تطلب مني هذا؟.

رددت عليه: وأنت بماذا تستطيع مساعدتي؟.

مرت لحظات من الصمت ثم استطرد الآخر: لا شيء..

خاب أملي وازداد تعجبي من الأمر برمته حتى عاد يقول: بل كل شيء..

لم أفهم مغزى كلامه وبدأ الخوف يحل محل الفضول بالتدريج فقلت له بصوتٍ شديد الهمس أكاد أجزم بأنه لم يخرج من شفتاي حتى: أأنت شيطان أم جني؟.

سمعت ما يشبه الضحكات الساخرة، ولكنها لم تتردد سوى في عقلي أنا فقط، بينما كان الصوت خارج رأسي وكأني أتحدث إلى أحدٍ بجواري يقول: لا نهائيًا..

عادت القهقهة تصدح داخل رأسي مُجددا، وبطريقةٍ أصخب، بينما تردد الصوت في أذني مباشرة: لا أنا لست بشيطان أو جن..



سألته سريعًا: إذن من أنت، هل....؟

قاطعني قائلًا: أنا مجرد صديق، ينشد مساعدتك..وأنت ترفض مساعدته لك بغرابةٍ شديدة..

لم أرد عليه، ليس لخوفي أو تعجبي بل لأنني ببساطة لم أجد كلمات أستطيع الرد بها عليه فعاد يقول : انظر إلى حالك يا صديقي المسكين...منزوي منسي مُهمل كمنديلٍ قذر فُرِغ من استعماله..أنت لا وجود لك فعليًا وليس مجازًا..

إنهم حتى لا يشعرون بك..لماذا تصبر على حالتك تلك. أنت إنسان حر وتستطيع فعل كل ما تشاء في أي وقت بلا رقيب أو حسيب..

صمت لحظات كي يعطيني فرصة أستوعب كلماته ثم عاد يقول:

أعتقد أنك تخاف مني عندما أقول لك أنت ميت..أنت تفهمني بطريقةٍ خاطئة لم أكن أقول لك أنك ستموت حرفيًا..بل انظر إلي حالك وأخبرني بصراحةٍ ماذا سوف يكون الموت إن لم يكن هو ما أنت فيه الآن يا صديقي..

ترقرقت الدموع في عيناي واختلجت عضلات وجهي وأحسست بشعورٍ عارم في البكاء والصراخ قد لمس في اللعين وترًا حساسًا..قد وضع ملحًا أجاجًا على جرح عمره أعوام ومازلت أنزف منه..

آثرت الصمت فعاد هو مستعملًا سوط كلماته مرةً أخرى ليُلْهب بها قلبي المسكين ليقول: إنهم يتحكمون بك بحججٍ واهية لا أساس لها من الصحة..

كيف يعرفون ما هو في صالحك وهم يفعلون عكسه؟.

كيف يعرفون ما يفيدك وهم يدمرونك؟

قل لي كيف؟..



لم أستطع التحمل..بدأ صوتي في الارتفاع وأنا أقول ماسحًا دموعي التي قد بدأت تسيل من عيني: من أنت؟

ألتفت حولي وأنهض من فراشي وأنا أقول بنفس النبرة المرتفعة وأنا أنظر حولي: أين أنت؟

عاد يقول بهدوءٍ شديد وبصوتٍ أقرب إلى الهمس: كما قلت لك من قبل أنا صديق و أنشد المساعدة، أعتقد أنه صعبًا عليك تقبل فكرة وجود أحد يساعدك مجانًا بلا مقابل لأن ذلك لم يعد متوفرًا في عصرك الحالي..

قلت وقد بدأ الغضب يعمي بصيرتي وقلبي: لا أريد شيئًا أو مساعدة منك أو من غيرك..

صمت للحظات ثم قال: اقتل نفسك..تحرر من هذا الشرك يا فتى، تحرر من هذا الشرك الذي وضعت فيه دون إرادتك..لقد تخلت عنك السماء لا أحد بجوارك.. إلَّا أنا بالطبع..

كانت فكرته ليست بالجديدة، فقد فكرت فعلًا في الانتحار، لكني لا أمتلك الشجاعة أو الجبن لفعل ذلك..

مجيئك للحياة لا إرادة لك فيه فعلًا، لكن المخيف إنك تستطيع مغادرتها متى شئت..لكن هذا القرار يحتاج شجاعة..ويحتاج ضعف وخوف لفعلها..

قد أمتلك بعض من الشجاعة ولدي الكثير من الضعف والخوف ولكن...

انتزعني صوت الآخر وهو يقول ببرودٍ شديد: انظر كم أنت وحيد وبائس وخائف..

كيف تحتمل حياتك بهذا الشكل المريع القميء.. أنت ميت حي..

تحولت نبرة صوته من البرودة إلى غضبٍ مفاجئ جعلني أندهش وهو يقول: أنت ميت منذ أن ولدت..أنت لا تستحق مُساعدتيٍ لك أيها الصغير..لا فائدة أرجوها منك..



أخذت شهيقًا أحاول به السيطرة على ارتجافة جسدي..اندهشت وخفت من غضبة الآخر المفاجئة سرت ببطءٍ حتى وصلت إلى فراشي اعتليته ببطءٍ ودثرت نفسي ثم قلت بصوتٍ هادئ حاولت أن أبث فيه أكبر قدر ممكن من الثقة: أنا مريض..وأنت لست حقيقي..أنا أتخيلك فقط..أنت لا وجود لك..

لم أتلق رد قط وانتهت محادثتنا..وغاب الآخر لفترةٍ طويلة عني من يومها.

***

ابتسم الطبيب ابتسامة بدت لي غير مريحة على الإطلاق فور أن انتهيت من حكايتي..

كانت ابتسامته تشبه ابتسامة المستهزىء، العارف ببواطن الأمور..

وقال لي بلهجةٍ غريبة: أمجد..

كل إنسان يقوم عقله أحيانًا بخلق بيئة خيالية مُحيطة به، لتبرر له أفعاله وتصرفاته التي قد لا يرضى عنها..بمعنى أنك إذا أخطأت في شيء وأنت في قرارة نفسك تعلم تمامًا أنك مخطىء فسيقوم عقلك بفعل المستحيل لتبرير ما فعلته..حتى إنه يمكنك فعلًا الاقتناع بأنك لم تخطىء قط وأن الأمر طبيعي..

ثم أطلق زفرة حارة للغاية وعاد للهجته الطبيعية مما جعلني أخافه بعض الشيء وهو يقول: العقل البشري والنفس البشرية غامضان للغاية، لا نعرف عنهما سوى أقل القليل.. عقلك مثلًا..قادر على خلق عوالم كاملة متكاملة وقد يجعلك تعيش حبيسًا فيها بدون أن تدري..

العقل البشري مخيف للغاية فلا تحاول الاستهانة به أبدًا.

قلت: والنفس البشرية مُخيفة كذلك ربما أكثر من العقل..



رد الطبيب: الأمر سيان..

ثم استطرد: تشخيصي المبدئي يا أمجد.. أنَّك تُعاني من حالة اكتئابٍ مُزمن؛ نتيجة تعرضك لصدمات نفسية وعصبية مُتكررة لفتراتٍ طويلة، بالطبع هذا بسبب مُعاملة الأهل لك..

آثرت الصمت بينما عاد الطبيب يقول: هل يعرف أحد من أبويك إنك هنا؟.

رددت عليه بسخرية وأنا ألتفت حولي: هل ترى أحدًا منهم الآن؟

ابتسم الطبيب، وعاد يتكلم بجدية مرة أخرى: بالطبع أنت تشعر بالغضب من معاملة أهلك السيئة لك، وعلى عهدتك أن لا سبب لتلك المعاملة السيئة سوى محاولة والديك تنشئتك نشأة صالحة، تعينك على الحياة في زمننا الحالي..أليس كذلك؟

أومأت برأسي إيجابًا فتابع هو: وعلى الرغم من هذا فقد تحسنت علاقتك بأهلك من فترة أليس من الممكن أنك تختلق هذا كله؟

رددت عليه بهدوءٍ رغم الاستفزاز الذي تسببت به كلماته لي: حتى وإن كنت أختلق ما أقوله لك..هناك أحداث غريبة قد حدثت لي.. أو على الأقل هناك أحداث غريبة قد رأيتها بنفسي..والأكثر من ذلك أن هناك من عاشها معي ويمكن أن يشهد بوقوع أحداث غريبة له...أما ما يدحض الشك نهائيًا أن من عاش تلك الأحداث معي واحد من أفراد أسرتي..

قال الطبيب وقد جذب كلامي انتباهه: كيف هذا؟

رددت بسرعة: كانت هناك أحداث غريبة تقع في منزلنا..ليس أنا وحدي من تعرضت لمواقف غريبة..

قال الطبيب وقد بدا مهتمًا لأقصى درجة وهو يقول لي: جيد جدًا..قص علي بعض من تلك المواقف الغريبة..

***



كُنَّا نسكن في عمارة مكونة من أربعة طوابق..كانت العمارة خاصة بعائلتنا فقط..

كنا نقطن بالطابق الأول بينما الطابقان الثاني والثالث خاليان من السُكان وعمي يسكن مع عائلته في الطابق الرابع والأخير..

في أحد الأيام كنت جالسًا وحدي بالمنزل، أبي وأمي في زيارةٍ عائلية..أخي كان معي ولكنه خرج ليشتري أغراضًا له، كنت جالسًا أنتظر عودته من الخارج..

جلست أشاهد التلفاز قتلًا للوقت فقط كعادتي حتى سمعت صوت صراخ وضجة مكتومة يأتيان من الخارج..

نهضت وأنا مصاب بالفزع لأفتح الباب بسرعة، فوجدت أخي فاقدًا للوعي أمام باب الشقة، مُلقى على وجهه أرضًا بلا حراك، فقمت بسحبه من قدميه حتى أدخلته إلى الشقة، وأغلقت الباب من خلفنا..

فكرت أنه قد فقد الوعي بسبب ارتطام رأسه بالأرض مثلًا بعد تعثره، لكنني ذهبت مُسرعًا إلى غرفتي وجلبت معي قنينة عطرٍ صغيرة حتى يستنشقها ليفيق..

جلبت القنينة ونزعت غطاءها وأنا أقربها لأنف أخي الذي بدأ يتململ في رقدته بعد لحظات..

بدأ أخي يستعيد وعيه الذي انسحب منه ببطءٍ ففتح عيناه وأمسك رأسه متألمًا ثم نظر لي مندهشًا وهو يقول بألم: كيف وصلت إلى هنا، وماذا حدث لي؟

جلست بجواره على الأرض وأنا أمسك رأسه لأتفحصها ولما لم أجد ضررًا كبيرًا سألته: ماذا حدث لك يا أخي من المفترض أن أسأل أنا هذا السؤال؟؟!!..

نهض أخي مُستندًا على كتفي وهو ينظر حوله بدهشةٍ ثم تطلع إلى وجهي وهو يقول بحيرةٍ حقيقية: لا أعلم، لقد فتحت بوابة العمارة وضغطت زر الإنارة الذي من المفترض أن تدوم إنارته لثلاث دقائق كاملة، ثم صعدت درجات السلم وأنا أحمل الأغراض..



قطع كلامه ثم تلفت حوله مره أخرى وهو يقول: أين الأغراض لقد كنت أحملها في يدي عند صعودي..

قلبت كفاي في حيرةٍ، وأنا أقول له: لم أجد أي أغراض معك يا أخي..

نظر إلي بعدم فهمٍ وغضب فقلت مستحثًا إياه على تكملة ما حدث معه قائلًا:

أكمل فقط ما حدث لك ولتدع الأغراض الآن..

زفر في ضيقٍ وهو يقول: بدأت في الصعود عندما انطفئ النور فجأة وقلت لنفسي أنه مجرد عطل بسيط في الكهرباء أو أن التيار الكهربائي قد قطع، فأخرجت هاتفي الجوال وشغلت خاصية الكشاف الضوئي به لينير باقي الطريق لي..

أنرت الطريق وبدأت في الصعود إلَّا أنني سمعت صوت خطوات ثقيلة تصعد ورائي السُلم فالتفت بالكشاف الضوئي لأرى من خلفي..

سقط ضوء كشافي على الفراغ من خلفي حيث لم يكن هناك أحدًا علي الإطلاق !!!.

ثم أحسست بشيءٍ ثقيل للغاية يرتطم برأسي ولم أفق إلَّا على يديك هنا يا أخي..

نظرت له نظرةٍ خالية في حين قال هو : أو تعلم يا أمجد ما هو الشيء الغريب، والذي يشعرني بالخوف حقًا؟..

قلت له: ما هو هذا الشيء؟.

استشعرت وشممت الخوف في صوت أخي وهو يقول: تلك الخطوات الثقيلة التي سمعتها، إنها لا تخص شخص واحد بل تخص عدة أشخاص..فقد أحسست أن هناك عشرة أشخاص يتبعونني..

لم أستطع النوم في تلك الليلة..بينما العجيب أن أخي نام مليء جفنيه..استفزني هذا، ثم قلت لنفسي هو من تم ضربه ولست أنا..



لكن في قرارة نفسي كنت أعلم أنني المقصود منها، وليس أخي على أي حال.. فمن يستطيع الوصول لأخي..بالتأكيد لن أكون أنا بعيدًا عن متناول يده..

***

إن مجرد كون العقل البشري لا يستطيع تخيل حدوث شيء لا يعني ذلك بالضرورة أن ذلك الشيء غير موجود!!.

***

«يمكن أن يكون من ضرب أخوك هم مجموعة من اللصوص مثلًا، ما حكيته لا أرى فيه أي غرابة بصراحة، الموقف يبدو لي طبيعيًا.محاولة سطوٍ فاشلة ليس إلا.»

قالها الطبيب وهو يعود بظهر مقعده إلى الخلف ليريح ظهره قليلًا ناظرًا لي منتظرًا إجابتي فقلت له وأنا أحرك يداي بحركات لا معنى لها: أنت لم تفهم..أولًا، بم تفسر انقطاع التيار الكهربائي في نفس الوقت الذي ضُرب فيه أخي على رأسه، كذلك عند خروجي بمجرد سماعي لصوت الضجة والارتطام وجدت التيار الكهربائي كما هو ولم ينقطع والسلم كله ضوء..

فهل من ضرب أخي في الظلام قام بإنارة الضوء بعدما ضربه ثم اختفى في غضون لحظاتٍ قليلة هي التي استغرقتها من وقت سماعي للصوت حتى هرولتي خارجًا من الشقة لاستكشاف ما حدث..

ثانيًا، العمارة بأكملها فارغة كما قلت لك ولا يسكن فيها سوى عمي وعائلته الصغيرة المكونة من زوجته وابنته الوحيدة، وأنا بصراحة لا أتوقع أن يكون أحدًا منهم هو من فعل ذلك..

قلتها ساخرًا، ثم تابعت حديثي: ثالثًا، لا أحد يمتلك مفاتيح بوابة العمارة الحديدية الثقيلة سوى عمي وأبي وأخي حتى أنا لا أمتلكها..



رابعًا، نحن نحرص جيدًا على إغلاق البوابة الحديدية تلك ..كذلك وضعنا كاميرات مراقبة عليها نظرًا للظروف الأمنية غير المستقرة للبلاد..آه بالمناسبة كاميرات المراقبة لم تُسجل دخول أو خروج أي شخص غريب من العمارة نهائيًا فتنتفي بذلك تمامًا فرضية أن أحدهم قد تمكن من الاختباء في بئر سلم العمارة، ومن ثم مباغتة أخي وضربه على رأسه من الخلف..

نظر لي الطبيب وقد بدت على وجه علامات الحيرة والتفكير وإن قال بصوت ساخر متهكم: إذًا فهو الجن من قام بضرب أخيك على رأسه؟..

صمت قليلًا وتفرست في ملامحه وأنا أقول له: ألا تؤمن بوجودهم؟

-أؤمن بوجود من؟..

-الجن؟.

رد علي الطبيب شارحًا وجهةْ نظره: الجان موجود بالطبع، لكني أعتقد أن تأثيره في حياة الإنسان يكاد يكون غير ملحوظ إن لم يكن منعدم تمامًا، وأنا أعتقد أن ما حدث لأخيك هو مجرد حادث تم تدبيره بحنكةٍ شديدة..

رددت أنا عليه: أنا أخالفك الرأي تمامًا

قال الطبيب: إذًا أنت تعتقد أن هناك ظواهر خارقة للطبيعة تحدث معك..

مترددًا قلت: لا أستطيع الجزم أيها الطبيب، صدقني..

مرت لحظات ثم تنحنح الطبيب ومال نحوي وهو يقول: أتعلم ما هي المشكلة الحقيقية يا أمجد.

لم ينتظر ردي وتابع قائلًا: أغلب المصريين أو العرب عمومًا، يجيدون تمام الإجادة الخلط بين أعراض المرض النفسي وبين أعراض الظواهر الخارقة التي يتعرضون لها..أنا لا أستطيع أن أنكر أن هناك بعض الأعراض قد تتشابه فبعض الأمراض النفسية تتشابه مع ما يطلق عليه البعض لقب المس أو الاستحواذ أو المس أو أو أو، لكن للأسف لم يستطع أغلب الناس أن يدركوا أن ليس كل ما يحدث حولنا

ولا نستطيع إيجاد تفسير عقلي علمي مقنع لحدوثه يكون السبب فيه الجن أو الشياطين أو الحسد مثلًا..عالمنا أعقد من أن يفسر هكذا..

قلت: وكذلك أيضًا لا نستطيع الجزم بأن كل ظاهرة خارقة تحدث لنا لها تفسير علمي دقيق ومقنع..العلم حتى الآن لم يستطع إيجاد سبب منطقي وعلمي وطبي للعديد من العِلل والأمراض النفسية التي تصيب الإنسان..

عالمنا أعقد من أن يكون له تفسير بسيط ومنطقي..

لم يرد الطبيب بل نظر لي وابتسم بطريقةٍ غريبة وهو يقول: جيد، أرى تقدمًا ولو كان طفيفًا..أعتقد أن هذا يكفي لليوم يا صديقي الصغير.

ثم أخذ يخط بقلمه في دفتر وصفاته الطبية وهو يقول لي: سأوصي لك ببعض المهدئات ومثبطات الانفعال لتخفيف حدة انفعالاتك، وكذلك منوم صحيح إنه ليس بالقوي ولكنه سيساعدك حتمًا على النوم بلا أحلام أو كوابيس..أنا أرى أنك تفتقر إلى النوم بشدة..

أومأت برأسي موافقًا على جملته الأخيرة بينما قطع ورقة الوصفة الطبية وأعطاها لي، فنهضت أنا من على الشيزلونج وصافحته، وسرت باتجاه باب الغرفة بينما ضغط هو على زر استدعاء الممرضة التي كنت قد نسيتها تمامًا ولكن قبل أن تدخل الممرضة من الباب التفت للطبيب فجأة وأنا أسأله بغتةٍ: هل أنا مجنون؟؟.

نظر لي الطبيب متعجبًا ثم ضحك ضحكة هادئة وقورة وهو يقول: وهل هناك بشري علي هذا الكوكب ليس مجنون، الجنون نسبي ومتفاوت يا أمجد؛فالجنون هو أن تخرج تصرفاتك عن حدود المألوف والمتعارف عليه، فليس المجنون هو من يفقد التحكم في تصرفاته فقط يا أمجد..أو من يتخيل رؤية أو سماع أشياء ليس لها وجود.. الأمر معقد قليلًا..ويعتمد فقط على زاوية نظرتك للأمر..

لوهلةٍ من الزمن لم أفهم ما قاله لي، أو لأكون دقيقًا أكثر أنا لم أحاول أن أفهم مغزى كلامه..لأنني قد سمعت ما أريده من جوابه..ولن أنكر أن جوابه قد أراحني كثيرًا...



فتحت الممرضة باب غرفة الكشف ودلفت إليها فأكملت سيري خارجًا من الغرفة؛ متحاشيًا النظر إليها..

خرجتُ من العيادة واتجهت إلى صيدلية قريبة لأشتري الدواء ومازال الصوت يرن في أذني قائلًا: «أنت العاقل الوحيد على سطح الكوكب.»

***

إهداء أخير

إلى كل من آمن بي، إلى كل من حاربني..إلى كل من راهن على سقوطي في العاصفة..

إلى من تنبأ بهزيمتي..

لولاكم لما ظللت أقاتل..

لولاكم لما صمدت..

سأظل في مكاني..حتى ينفد مداد كلماتي..أو أن يخرج آخر أنفاسي..



الورقة التاسعة

(٩)

هل كان لذلك الآخر دورًا مؤثرًا في حياتي بخلاف صوته الذي كان يطاردني دومًا..؟

سألت ذلك السؤال يومًا ما لنفسي..

أنا أعرف إجابته لكني نسيتها تمامًا..لم أعد أتذكرها سوى عند الحاجة..فقط

فإجابة ذلك السؤال هو إجابة لمشكلتي كلها..

لكني لا أريد، بل لا أستطيع الجزم بذلك..

صوت الآخر في أحيانًا كثيرة كان يصبح مصدر تسليتي الوحيدة، وأحيانًا أخرى كان يكون مصدر إلهام لي..

أُحِسُّه يتحدث بلساني أنا..أو أنه يقول ما أردت أنا أن أقوله دومًا..

كان يقول ما أفكر فيه ولا أستطيع البوح به..

تبًا لعالمي ولطريقة تفكيري..

اللعنة، وألف لعنة عليّ..الطريق أمامي وأرفض السير فيه..لا خوفًا ولكن طمعًا..

كنت أستمع أحيانًا إلى..كلماته المقتضبة التي كان يقولها لي..كانت بمثابة رسالة أحيانًا وأحيانًا كانت بلا معنى..

لكن أغلب كلماته كانت تدفعني إلى حمامًا من الدم..



اقتل..

اقتل..

اقتل..

اقتل فأنت مقتول!!

كنت في مدرستي الابتدائية طالب تقليدي جدًا بل أقل من التقليدي، مُنطوي ومُنزوي في ركن قصي دومًا وحدي..

لا أتحدث مع أحد ولا أحد يريد التحدث معي، الجميع يتحاشوني وكأني مصاب بمرضٍ جلدي معدي..

لكن.. لكن ذلك الفتى المتنمر ضخم الجثة كنت أنا بالنسبةِ له طفلًا ضعيفًا ضئيل الحجم..يستطيع أن يضربه ويسبه في أي وقت لكي يزداد خوف الطلبة الآخرين منه..

كان يسرق أدواتي وطعامي إن أعدت لي أمي مرَّة طعامًا وهذا بالطبع كان أمرٌ نادر الحدوث.

لي قصص عديدة مع هذا المتنمر ولكني سأذكر الأخيرة فقط، لأنها الأهم!!

في أحد الأيام في مدرستي أثناء فترة الراحة بين الحصص..

كنت معتاد أن أكون آخر تلميذ ينزل من الطابق بأكمله؛ تحاشيًا للزحام ومشكلاته المعتادة التي تنشأ بين التلاميذ..

كنت أنزل إلى فناء المدرسة وأظل أسير حتى أسمع الجرس يستدعينا للصعود مجددًا إلى فصولنا فأكون آخر طالب يصعد في المدرسةِ كلها..

المهم أنني بدأت في سيري بهدوءٍ شديد والأطفال من حولي يركضون ويلهون ويسب بعضهم البعض بألفاظٍ لا تتناسب ومرحلتهم العمرية..



لم أنتبه إلى أنني قد مررت بجوار الطفل المتنمر إلا عندما عرقلني ووجدت نفسي أسقط أرضًا وتتلوث ملابسي وهو يضحك ويشير بسبابته إليَّ..

ضحك جميع من حوله خشية منه ليس إلا..

أنا لم أرد ولا أتكلم ولا أبدي أي ردة فعل، فقط أتمني أن لا تزيد الأمور وتقف عند هذا الحد..

أنهض من سقطتي محاولًا إعادة هندمة ثيابي ونفض ما علق بها من تراب..

لكن صمتي وعدم بكائي أثار الطفل الضخم..غضبًا، ثم كور قبضته اليمنى القوية بالنسبة إلي، وأطلقها في جانب رأسي من اليسار..

شعرت وكأن مطرقة قد سقطت على رأسي..شعرت أن أبي هو من ضربني في تلك اللحظة وليس ذلك المتنمر..

أشعر بدوار ورغبة عارمة في السقوط أرضًا ولكني أعلم أن سقوطي سيعني أن أتلقى حصة أكبر من التعنيف..

انسحبت من أمامه مسرعًا وأنا أترنح ووقفت بعيدًا عنه أتحسس موضع لكمته وأنا أنظر له في غيظ..

لم أكن أفكر في الانتقام منه، بقدر ما كنت أفكر في سبب ما يفعله، حتى سمعت صوت الآخر ينتشلني من أفكاري التي كادت أن تغرقني يقول لي:

أنا هنا..

كنت مازلت غير معتاد على ذلك الصوت الذي يقتحم تلافيف مخي فجأة بدون مقدمات..وكان الصوت نادرًا ما كان يأتيني وأنا وسط تجمعات بشرية كبيرة كتلك التي حولي..



ولكن ها هو قد أتى وخالف المألوف..

حاولت تجاهل الصوت وانشغلت بمحاولة تدليك مكان اللكمة ولاحظت أنه قد تورم!!

لكن الصوت عاد يقول: أنا هنا لأساعدك، أرجو أن تطلب مني هذا فقط..

لم أرد عليه ولكن بداخلي اشتعل الصراع فأنا كنت أود الحصول على مساعدته، لكن لا أعلم مساعدته لي في ماذا..أنا حتى لا أعلم ما هو؟؟

لكن بداخلي انتشرت نار الانتقام وأنا أرى الصبي المتنمر يقوم بضرب أحد الصبية الأقل حجمًا ويقوم بخطف شطيرة منه وهو يضحك..

شعرت بالكره ناحيته هو

ازدادت مشاعر كراهيتي نحو أبي وكل مَن حولي..

تدفقتْ الدماء في عروقي..لم أعد أشعر بالألم..فقط أريد أن يشعر كل من حولي بالألم..

الكل بلا استثناء أتمني أن يتعذب الجميع..وسأكون مسرورًا بهذا.. مستعد أن أدفع عمري كله مقابل أن أعيش لحظة انتقام واحدة..

دق الجرس الذي يعلن عن أنه قد حان وقت عودتنا إلى فصولنا..

سرت كالمُخَدر.حتى وصلت إلى فصلي..

جلست في مكاني المعتاد..كطيف لا أرى ولا أسمع ما حولي..

قبل نهاية اليوم الدراسي بقليل استأذنت المعلم؛ كي أذهب إلى الحمام.. فسمح لي.



وبعد خروجي بدقائق قليلة سمعت صوت ارتطام مكتوم بالأرض وبعدها صوت صراخ عالي وصياح...

خرج جميع التلاميذ من فصولهم ليروا سبب الضجة وتلك الجلبة..

اندفعت مع من اندفع من الصبية ناحية السور حتى نشاهد ما حدث..

ولحظتها..لحظتها فقط علمت أن ذلك المتنمر السمين قد سقط من الطابق الرابع وقد اندق عنقه ومات..

بمجرد رؤيتي لجثة ذلك الصبي وهي في الأسفل في وضعٍ غريب غارقة في الدماء وقد سادت حالة من الهرج والمرج حولها..

عندما رأيت ذلك المشهد..شعرت بنشوةٍ مبهجة..

رؤيتي لدماء ذلك الصبي أصابتني بنشوةٍ عظيمة..

شعرت بقوةٍ غريبة مجهولة تسري في عروقي...

قوة بلا تفسير..قوة لا ينبغي لصبي في مثل سني أن يشعر بها..

اختلط الشعور بالقوة بالشعور بالضعف والعجز حين سمعت صوت الآخر يدوي في عقلي قائلًا: لقد قلت لك أنني سأساعدك، وقد فعلت..لكن يومًا ما سوف ترد لي الدين..فكن مستعدًا..

وإلى الآن لم أرد الدين إلى صاحبه ..ليس عجزًا مني، ولكني لا أنوي رده..

***



الورقة العاشرة

(١٠)

الحب..

صرت الآن في الخامسة عشر من عمري..وتلك الكلمة التي تُدعى بالحب لم أعرف لها سبيلًا..فظلت في نظري كلمة لا طائل يرجو منها..

حتى رأيتها..

أعتقد إنها كانت تكبرني ببضعة أعوام..كانت تقريبًا في عمر أخي..

كانت جارتنا..

تسكن في العمارة التي أمامنا مباشرة..لا أعلم كيف ظهرت فجأة في الشارع..

فقط رأيتها..

لا أعلم هل انتقلوا للسكن في هذا البيت حديثًا أم كانوا موجودين منذ فترة طويلة ولم أنتبه أنا لها..

أردت هدنة من حياتي السابقة..

أنا أعلم إنها علاقة مستحيلة بكل المقاييس ولكني سأخاطر..وسأحلم..

ربما يخفف هذا قليلًا من وطأة عذابي..

كانت سمراء البشرة ونحيلة..تمتلك أعينًا عسلية اللون، ويتوج رأسها بشعرٍ ذهبي الخصلات..

كانت مليحة بحق..



كنت أنتظرها بالساعات في شباك غرفتي..حتى تطل هي من شرفتها..فإذا كان أبي غير موجود أخرج إلى شرفتنا لأكون مواجهًا لها مباشرة..وإن كان للأسف أبي متواجد بالمنزل، فأكتفي بالنظر إليها من شباك غرفتي..

هي لاحظت..

أي فتاة مكانها ستلاحظ فعندما كانت تخرج هي لأي غرض من شرفتها كنت لا أستطيع إبعاد نظري عنها..مهما حاولت..

يظل بصري معلق بها..

لكني كنت سعيدًا..لن أنكر، فالنظر إلى محياها الجميل ينسيني جزء من أحزاني..

شعرت..مجرد شعور أنها تنظر إلي أيضًا..

تخيلت..تخيلت إنها ذات مرة ابتسمت لي..

نصيبي من السعادة محدود للغاية في هذه الحياة..

ففي أحد المرات وأنا أشاهدها واقفة في الشرفة وتتحدث في هاتفها..

جاءني أنا الآخر هاتف من الآخر..

همس في أذني كشيطانٍ رجيم:

إنها جميلة حقًا..لكنها لا تريدك بل لا تراك من الأساس..

خُيل إلي لحظتها إنها نظرت لي..ولم تبتسم كعادتها..

شعرت بالغضب من الآخر..غضب جعلني أتمنى لو أنه كان أمامي لكنت مزقته واسترحت من عوائه الدائم..

غادرت هي الشرفة بينما هو لم يغادر رأسي وعاد يقول:



أنت أعمى حقًا ولا ترى..

أنت تراقبها..المشكلة أنك تراقبها طوال الوقت ولكنك لا ترى..لأنك أعمى..

غبي وأعمى...

هي تنظر باتجاهك ولكن ليس إليك يا صديقي..

ليس إليك..

ليلتها استغللت عدم وجود أبي في المنزل وخرجت إلى الشرفة بحثًا عن نسمة هواء بارد..وكذلك باحثًا عن رؤية حبيبتي..عدة نظرات إلى محياها الجميل؛ قد تخفف من وطأة غضبي ولو قليلًا.

خرجت إلى الشرفة ووقفت فيها والهواء البارد يداعب خصلات شعري فيجعلني أنتشي، ناسيًا همومي..

وهي..

هي لم تخيب ظني كعادتها وخرجت متأنقة جميلة ونضرة كعهدي الدائم بها.. وابتسمت، لكن ليس لي بل لأخي الذي كان يقف وقتها في شباك غرفتنا..

***



الورقة الحادية عشر

(١١)

حاولت البحث عن حالتي كثيرًا وحاولت دراستها فلم أكتفي بكلام الطبيب الذي كنت متوقع أغلبه..

فقررت أن أبحث عن حالتي في شبكة الإنترنت لعلي أجد جوابًا يريحني..

بحثت كثيرًا..

عن الآخر..

لكن بحثي لم يزدني إلا حيرة وخوف..ما بين الأسماء المعقدة للأمراض النفسية المرشحة لأن أكون مريضًا بها وما بين الماورائيات..

فكرت للحظة فعلًا، هل أنا أعاني مما يسمى بالمس..

هل هناك كيان أسود كبير يتحكم في حياتي..

هل هناك ما يستحوذ عليّ كما أقرأ في القصص المرعبة..

قرأت الكثير..وفهمت الأكثر..

لكن كل ما قرأته فتح لي عدة احتمالات أخرى..جميعها مختلف وجميعها متشابه..

تختلف في التفاصيل وتتشابه في أنها مرعبة..مرعبة إلى درجة تكاد تجعلني أتخلص من حياتي عن طيب خاطر..

هل أنا أمتلك موهبة خاصة مثلًا..



أم أنا مجنون..ببساطةٍ شديدة ليس لدي أي دليل على أي احتمال..

لكن الأمر يزداد سوءًا بالتدريج..

فأنا لم أعد أرى والدي الذي قد ازداد تقدم العمر به لم أعد أراه كما كنت أراه في السابق كوحشٍ مخيف لا هم له في الحياة سوى تكدير معيشي وتعكير صفوي..

أراه يشيب ويلين في معاملته لي..لكن كرهي له يزداد يومًا بعد يوم..

حريق لا تكفي كل مياه الأرض في إطفائه..جحيم مُستَعر لَهَبُه سيطال الكل ذات يوم..

حتى أمي أكاد أشعر أنها لم تعد موجودة هي الأخرى في حياتي..وهنت وضعفت..

أما أخي فلم يكن له وجود من الأساس فلم أشعر به الآن أو في الماضي..

عندما بدأت أبحث عن مرضي..أو عن حالتي وجدت العديد من المعلومات والنظريات..

قررت أن أسجلها في مذكراتي..

لا أعلم السبب ولكني أعرف أنه سوف يأتي يوم ويقرأ أحدهم تلك الكلمات التي أقوم بتدوينها الآن..

فالآخر قد أخبرني بذلك في وقتٍ ما..

***



الورقة الثانية عشر

(المس)

(١٢)

هل أنا ممسوس؟..

أثناء بحثي عن حالتي في أحد مواقع الإنترنت، وجدت قصة غريبة للغاية، من كتب تلك القصة يقول إنها حقيقية، ويقول إنها تفسر العديد من الأحداث الغامضة والكثير من حالات الجنون التي تحدث لبني البشر..

حتى أكون صادقًا الأمر برمته صادم..

صاحب تلك القصة والعهدة على الراوي يقول إنه وجد تلك القصة في أحد كتب التراث والأساطير القديمة..في كتاب ينتمي لأحد الرحالة العرب المغمورين..وذلك الكتاب نادر للغاية كندرة كتب السحر وكتب تحضير الجان..

وضعت لكم تلك القصة الآن بعد أن ازدادت حيرتي وهواجسي بعد قراءتها..ليس خوفًا بل دهشة فحسب..

لأن تلك القصة لو كانت صحيحة..

فيجب على البشر أن يغيروا مفاهيمهم تمامًا..

فلو صحَّت تلك القصة..

فالمس لا يأتي من الشياطين فقط..



عام ٧٦٠ من الهجرة.
الموافق لسنة ١٢٦٨ ميلادياً.
مدينة بغداد، العراق.

« لم أعد أستطيع النوم يا شيخنا الجليل، ذلك الصوت يطاردني أينما كنت وأينما حللت..في كل وقت وكل زمان..بصوته المزعج يوسوس لي في أذني..ذلك الصوت يا شيخنا جعلني أهجر امرأتي أترك أطفالي وبلدي وأسافر باحثًا عن علاج أو ترياق لحالتي تلك..

إنه شيطان مريد يا شيخنا..يدفعني دفعًا إلى الموت..حتى الصلاة لا أستطيع إقامتها، لا أستطيع مُناجاة ربي..فإذا شرعت في الصلاة أو الدعاء لكي يرفع الله هذا البلاء عني..أتاني هذا الصوت يوسوس لي في أذني بكل شرور وآثام الدنيا..ولا يتركني إلا وقد ازداد بكائي وتشنجي وصراخي طالبًا منه الرحمة وأن يتركني لحال سبيلي..»

قالها رجل نحيل للغاية يبدو عليه آثار العلة والسفر، بشرته شاحبة..شعره مغبر وثيابه مهلهلة من أثر سفره الطويل في الصحراء..عيناه غائرتان، وقد بدأ شعر رأسه في السقوط مخلفًا منطقة فارغة كبيرة في مقدمة رأس الرجل..بينما برزت عظام وجنتيه، فبدا مظهر الرجل النحيل غريبًا مخيفًا..

صمت الرجل لحظات ليمنع نفسه عن البكاء ثم انه عاد يقول:

لقد جئت لكم يا شيخ من أرض الحجاز رأسًا إلى هنا، فعندما علمت أن شفائي قد يكون بيدك، تركت أهلي وأولادي ومالي وسافرت إليك..

لأنني قد سمعت من أحد التجار العراقيين الذين يأتون إلى الحجاز من حينٍ لآخر للتجارة. أنَّك قد قمت بشفاء شاب بغدادي كان يعاني من نفس حالتي..كانت تطارده الأصوات أيضًا..وقد اشتهر هذا الشاب لديكم في العراق بأنه مجذوب..أليس كذلك يا شيخنا..

قالها بضراعة للشيخ الذي أمامه..



كان ذلك الشيخ عجوزًا قد جاوز الثمانين، متغضن الوجه؛ لحيته بيضاء كثيفة تصل إلى صدره، يمتلك الشيخ وقارًا وهيبة تليق بالعلماء الأجلاء..

كان الشيخ جالسًا إلى جوار الشاب النحيل، نظر له نظرة أبويه تحمل الكثير من الشفقة والحزن على حالته التي وصل إليها..فربت الشيخ على ظهره وهو يقول له بصوتٍ وقور:

صدقني يا بني، مرضك عضال لا علاج له بين بني البشر..علاجك عند الله سبحانه وتعالى فقط.

صدقني لو كان الأمر بيدي لما تركتك تعاني ولو للحظة واحدة..

بدأت الدموع تنساب من عيني الشاب بغزارة، وقد علا صوت نحيبه وتشنجه.. ثم طفق يبكي بصوتٍ عالٍ رق من أجله قلب الشيخ الذي أمسك بيد الشاب وحاول تهدئته قائلًا له:

يا بني، إن ذلك الشاب البغدادي الذي سمعت عنه إنه مجنون..هو ليس بمجنون بل هو من خيرة شبابنا..يتيم الأم وقد تربى ونشأ من أبيه وزوجته..

كذلك أنت يا بني أنت لست مجنونًا..أنت عاقل وستجتاز محنتك إذا أمر الله بهذا..

انخفض صوت بكاء الشاب قليلًا فنظر إلى الشيخ وتكلم بصوتٍ مبحوح مختنق من أثر البكاء:

أهوَ مس من الشيطان، أم مسٍ من جان..

كان صوته يحمل لمحة خوف..

رفع الشيخ رأسه متأملًا الفراغ للحظات ثم قام متوكأ على عصاه، فنهض الشاب بدوره ليساعد الشيخ العجوز على النهوض فأمسك بيده بينما الشيخ يقول:



يا بني، قُل لي..

من هم أوائل الخلق؟..

احتار الشاب من السؤال لكنه أجاب بعد لحظات:

الملائكة؟.

هز الشيخ رأسه في استحسانٍ ثم قال له مستفسرًا:

وما الذي قد خلقه الله قبل الملائكة؟.

تردد الشاب ثم حسم أمره قائلًا:

الجان؟..

ابتسم الشيخ ابتسامة حانية للشاب النحيل قائلًا له برفقٍ:

اتبعني يا بني..

سار الشيخ بخطواتٍ بطيئة يساعده الشاب قاصدًا إحدى حجرات منزله على يسارهما حتى وصل إليها، ووقف على عتبة بابها ففتحه ثم دلف إليها والشاب مازال واقفًا خارجها في ترددٍ وخجل فقال له الشيخ بلهجةٍ آمرة:

ادخل يا بني وأغلق الباب خلفك..

ازداد تردد الشاب لكنه حسم أمره فدخل إلى الغرفة وأغلق بابها خلفه ووقف حائرًا ينظر إلى الشيخ الذي قد اتجه ناحية صندوق خشبي كبير في آخر الغرفة..كان الصندوق مغطى بالأتربة يبدو انه لم تمتد إليه يدًا منذ وقت طويل للغاية.

فتح الشيخ الصندوق، وأخذ يبحث عن شيءٍ ما فيه؛ حتى وصل إلى ما كان يريده..



مجلد ضخم كبير مغلف بجلدٍ حيوان ما أسود اللون..صفحاته قديمة صفراء مهترئة إذا أمسكتها بشدة ستتفتت بين أصابعك..

نفض الشيخ الغبار عن غلاف الكتاب الخارجي ثم فتحه بحرصٍ شديدٍ متوقفًا عند صفحة معينه وهو يعود إلى الشاب بخطواتٍ بطيئة للغاية ثم أخذ يقرأ له من الكتاب:

بعدما خلق الله ملائكته..خلق الله جنسًا وجعله يستوطن الأرض..جنسًا خُلق قبل الجان والشياطين..استوطن هذا الجنس الأرض وعمرها وعاش لآلاف السنين علي الأرض معمرًا إياها، متبعًا قوانين ونواميس الرحمن وكانوا عبادًا صالحين..

صمت الشيخ للحظات وعيناه تجاهدان حتى يستطيع رؤية الحروف فقال بعد فترة ليست قصيرة من الصمت:

أتى وقت بعد أن تملك هذا الجنس الأرض ومن عليها..أتي وقت تكبروا وأفسدوا في الأرض وسفكوا دماء بعضهم البعض، ناسيين أو متناسيين عن السبب الحقيقي الذي قد خلقهم الله من أجله..

ابتعدوا عن الله وعن طريقه..فعاقبهم الله.

فبسبب حروبهم الشعواء التي استمرت بينهم لآلاف السنين، فني أغلب جنسهم.. وأصبحوا بعد أن كانوا حضارة كبيرة مهيمنة.

أصبحوا قبائل بدائية صغيرة للغاية مطرودة من رحمة الله..

وحكم الله عليهم باستيطان أجزاء معينة من الأرض لا يستطيعون مغادرتها قط إلا بأمره..

ويقال أن الله قد حبسهم في مكان ما يجعلهم غير مرئيين لنا أو لمن خلق من قبلنا كالجان والشياطين..

ا



العجيب أن الأمر ذاته قد تحقق بنفس الطريقة مع الجان والشياطين وأصبحوا هم أيضًا منفيين غير مرئيين لنا كبشر..

ووحده الله يعلم هل سيتكرر الأمر نفسه معنا أم لا..

صمت للحظات ليستعد أنفاسه بينما كان وجه الشاب قد ازداد شحوبًا وامتقاعًا فتابع الشيخ:

حاول هذا الجنس أن يتوحد مرة أخرى..وأن يحارب الجان كي يطردهم من الأرض ورغم امتلاكهم للعلم والقوة لكن الجان كان أقوي منهم بكثير فخسروا العديد من الأشياء لكنهم لم يخسروا وجودهم..

فقد حاربوا الجان لسنوات بنفس الطريقة التي يحاربوننا بها الآن..

الأصوات..

فقد كانوا يدفعون الجان إلى قتل أنفسهم مثلما يفعلون معنا الآن...

فغرَّ الشاب فاهُ بشدة واتسعت عيناه وهو يقول بصوتٍ باكٍ مرتجف:

أتعني أنَّ..

قاطعه الشيخ قائلًا:

أجل يا بني، هذا الجنس الملعون لم يندثر كما قال أسلافنا من العلماء الأجلاء.. بل هو موجود حولنا في كل مكان مثل الجان..لكن الجان لا يرونهم وهم من يرونهم ويروننا..

والآن هذا الجنس يحاول أن يدفعنا دفعًا إلى الهاوية..

بالسيطرة علينا وعلى أفعالنا...

ازدادت دهشة الشاب وهو يقول للشيخ:



وأنت يا شيخنا هل عرفت كل تلك المعلومات عن طريق هذا الكتاب؟.

قال الشيخ وهو يحرك الكتاب الكبير الذي يمسكه في يده قائلًا:

أجل، هذا الكتاب أتى لي من بلاد المغرب العربي..عمره يفوق الألف ألف عام وجدت فيه كل تلك المعلومات..التي لم يذكرها أي كتاب غيره..

وكل الحالات التي تناولها الكتاب تشبه حالتك أنت والفتى البغدادي الآخر..

سأله الشاب بلهفةٍ:

هل ذكر في هذا الكتاب طريقة اختيار هذا الجنس الملعون إلى ضحاياه..

رد عليه الشيخ وهو ينظر في عينيه:

مذكور هنا في الكتاب أن الشخص ضعيف القلب والنفس، هو من يسقط أمامهم فقط بسهولة..

صمت الشاب قليلًا ثم عاد يقول بصوتٍ مهزوز:

ألا توجد وسيلة للنجاة بروحي من هذا العذاب..

اقترب منه الشيخ ونظر في عينيه وهو يقول همسًا بطريقة ذَكَّرت الشاب الحجازي بأسلوب الهامسين الذين يهمسون في أذنه:

لا تستمع إليهم..مهما حاولوا أن يفعلوا..

لن يستطيعوا إيذائك إلا بأصواتهم..

لكن احذر فأصواتهم قاتلة أكثر من سيوف البشر..

***



الورقة الثالثة عشر

(كيان قديم غامض)

(١٣)

قرأت في أحد مواقع الإنترنت التي تهتم بالظواهر الخارقة للطبيعة وتهتم أيضًا بمثل حالتي..عن نظرية كتبها أحد العلماء المغمورين..

في الحقيقة لم يسمع أحد من قبل بنظريته تلك..لم يسمع بها أحد سوى المهتمين بتلك الظواهر..

تعتمد نظريته على فرضية تقول :

(أن هناك جنس قديم غامض ربما أتى من الفضاء ذات يوم، وقد عامله البشر القدامى كآلهة..أو ملائكة..

هذا الجنس مهمته هي تصحيح مسار البشرية، بحيث يظهر لأفراد مهمين ذات قيمة حتى يتحكم في قراراتهم وطرق إدارتهم لبلادهم إن كانوا حكام أو ملوك، نحن نستطيع استحضار عشرات المواقف والمشاهد التي أساء فيها القادة والحكام في اتخاذ قراراتٍ صحيحة..

هناك مثال ضربه هذا العالم المغرور ألا وهو ليوناردو دافينشي..الرسام ذائع الصيت صاحب لوحة الموناليزا الغنية عن التعريف بالطبع..

فالوثائق تشير إلى مدةٍ قد اختفى فيها دافنشي تمامًا عن الحياة العامة..وعلى حسب كلام دافنشي بأنه كان يستكشف أحد الكهوف حينما ظهر له ما غيَّر مسار حياته تمامًا..



كذلك نابليون بونابرت القائد العسكري الشهير..حيث أثبتت فحوصات أقامتها السلطات الفرنسية على جمجمة القائد الفرنسي الشهير وجود شريحة معدنية صغيرة!!.

لم يعلم أحد الغرض منها إلى الآن..)

راقت لي تلك النظرية، ولكن ظل سؤالي..

هل أنا مهم إلى هذه الدرجة حتى يهتم بي واحد من الكيانات القديمة؟؟..

***

عام ١٨١٥ ميلاديًا..

بلجيكا.

الحروب النابليونية على أوروبا.

وقف الإمبراطور والقائد العسكري المحنك الأشهر في التاريخ (نابليون بونابرت) بزيه العسكري الأبيض والأزرق المطرز بخيوط ذهبية..

بينما يتدلى حزامه العريض من على خصره حاملًا غمد سيفه الطويل الحاد المصنوع من الفولاذ الدمشقي..أمام خريطة كبيرة تظهر قارة أوروبا بأكملها وأجزاء أخرى من قارة أفريقيا..

ووقف حوله العديد من ضباطه وقادة جيشه ومستشاريه المقربين..يناقشون معه خطتهم الأخيرة التي سوف تغير وجه القارة العجوز للأبد..

حيث اجتمعت كل القوى الأوروبية وقتها لمواجهة تطلعات نابليون الاستعمارية..

أمسك نابليون في يده عصًا خشبية طويلة مشيرًا بها على موضع في الخريطة قائلًا بصوتٍ حادٍ مرتفع فيه شيء من العظمة والغرور: هنا في قرية واترلو قُرب بروكسل سَنجْتاح الجيش البروسي تمامًا، سنفعل بهم كما فعلنا بالقوات الروسية..



نظر القادة والضباط إلى بعضهم البعض فجميعهم يعلمون الفشل الذريع الذي قد خاضه الجيش الفرنسي في الأصقاع الروسية..

فتابع نابليون: سنحاول دحر طلائعهم سريعًا والوصول إلى قلب جيشهم ويجب أن نفعل ذلك بأقصى سرعة قبل أن تصل إليهم إمدادات الإنجليز والروس..

توجه نظر الضباط جميعهم إلى ضابط برتبة كبيرة يقف بجوار نابليون تمامًا.. كانوا يسألوه أن يتدخل حتى يمنع المذبحة التي سوف تصيبهم إذا صمم هتلر على قراره فتنحنح ثم قال:

سيدي..لقد خُضت معك كل حروبك، وشهدت تتويجك إمبراطور لفرنسا بعيني في الكاتدرائية..حتى انك عينتني قائد لسلاح مدفعيتك ثقة في وفي إخلاصي لك وللإمبراطورية الفرنسية..

نظر له نابليون بعدم فهم وقلة صبرٍ مُستحثًا إياه على إكمال كلامه..

فتشجع الضابط وهو يقول ببطءٍ:

الجيش البروسي قوي جدًا يا سيدي الإمبراطور..مدافعهم كبيرة ونيرانهم قوية ومداها طويل..لن ننجح في التخلص من طلائعهم بسهولة..

حتى إنْ نجحنا فذلك سيكلفنا وقت طويل للغاية ستصل فيه إمدادات كل دول أوروبا إلى الجيش البروسي..وبعدها بقليل سيصل البريطانيين وسنكون بين المطرقة والسندان وقتها..

تكلم آخر وقد أصابته لوثة من الشجاعة قائلًا: الأرض كذلك موحلة وزلقة أيها الإمبراطور..العربات والمدافع ستنكسر محاورها ولن نستطيع إصلاحها وسط القتال وسنضطر إلى سحب العجلات المعطوبة إلى مؤخرة معسكرنا..

في حين قال آخر: هجمات القرويين البلجيكيين تزداد ضراوة يومًا بعد يوم سيكونون شوكة في ظهرنا إذا بدأ القتال..



نظر لهم نابليون مليًا ثم قال بهدوءٍ شديد: إذًا أنتم تشككون فيما يقوله إمبراطوركم وقائدكم، الذين تدعون أنكم تدينون له بالولاء هو وبلده..

أساء القادة والضباط أن قائدهم قد شكك في نواياهم وولائهم وفهم الأمور من منظور خاطىء..

تبادلوا النظرات معًا ولم يحرر أحدهم جوابًا في حين صاح نابليون بصوتٍ غاضب: أتشككون في أيها الضباط؟؟.

ارتجف الضابط ذو الرتبة الكبيرة بخوفٍ شديد وهو يقول وقد انكمش في نفسه:

العفو أيها الإمبراطور، أنت جنرالنا ونحن ندين لك ولفرنسا العظيمة بالولاء..وأن مبعث قلقنا وارتباكنا هو خوفنا عليك وعلى مُستقبل فرنسا..أقسم لك بهذا..

رماه نابليون بونابرت بنظرةٍ كادت أن ترديه قتيلًا ثم قال موجهًا حديثه لأحد قواده الآخرين:

جهزوا الجيش إذًا للزحف على واترلوا..إنها معركتنا الأخيرة التي ستحدد مصيرنا ومصير أوروبا بأكملها..بل العالم بأكمله..

ثم صرفهم بإشارةٍ من يده فاندفعوا يغادرون خيمته كما لو أنهم يفرون من حريقٍ مستعر، حتى خلت الخيمة تمامًا إلَّا من نابليون الذي ظل واقفًا يُحدق في الخريطة الكبيرة التي أمامه والصوت يدوي في عقله قائلًا: كما وعدتك، ستغدوا إمبراطور الأرض كلها ذات يوم..فقط اتبع خطاي يا صديقي..

***



الورقة الرابعة عشر

(قبل أيام من الحادثة)

(١٤)

استيقظت مفزوعًا على رنينٍ مُزعج صادر عن هاتفي الجوال، بعينٍ لم يغادرها النوم بعدما نظرت في شاشة الهاتف لأجد اسم صديقي حازم ورقمه يزينان الشاشة..

نحن الآن في منتصف إجازة نصف العام الدراسي فلماذا يتصل بي في هذا الوقت المبكر..

ضغطتُ على أيقونة إجابة الاتصال ذات اللون الأخضر ووضعت الهاتف على أذني لأجد صوت حازم يأتيني شديد المرح والحبور: رحلة الجامعة إلى الإسكندرية يا صديقي أمجد، أخيرًا تحدد موعدها، أخيرًا سنفعل كما اتفقنا بالطبع ولن نذهب في الحافلة التي سوف تستأجرها إدارة الجامعة وسنذهب بطريقتنا نحن..أليس كذلك؟..

قال سؤاله بلهجةٍ خبيثة للغاية..

لم أعيرها انتباهًا ونهضت من على السرير وأنا فرحان وقلت له بحبور مماثل:

حقًا يا حازم، أتقول الحقيقة أم أنك تمزح مُزاحك الثقيل المعتاد، أقسم أنك لو كنت تمزح فعلًا فسوف..

قاطعني حازم بمرحٍ قائلًا: لا تكمل يا أمجد سامحك الله..

ثم ضحك وضحكت على ضحكه وبعد أن انتهى عاد يقول لي: يوم السبت القادم سنتحرك جميعنا من أمام بوابة الجامعة هم سيغادرون بطريقتهم ونحن سنغادر بطريقتنا..



صمت للحظات وأنا أصغي له باهتمام فسألني: هل أخبرت أباك عن الرحلة؟..

وجمت من السؤال وقد بدا الغضب واضحًا في صوتي: لم أخبره حتى الآن، ظننت أن إعلان موعد الرحلة سيتأخر قليلًا فلم أشأ أن أتصارع معه مُبكرًا والموعد لم يحسم بعد..

خرج صوت حازم قلقًا وهو يقول: هل سيمانع في ذهابك معنا؟

نستطيع إقناعه مازال لدينا وقت..

زفرت بحنق ثم قلت له: لا تقلق سأنجح في إقناعه ولكنني سأبذل مجهودًا مضنيًا لا ريب في هذا ولكن لا حل آخر أمامي..من المحتمل أن يرفض الأمر برمته أن يتدخل أحد من أصدقائي في محاولات إقناعه، أبي عنيد كثورٍ بري..

فقط ادعو لي أن أنجح في إقناعه يا صديقي العزيز..

صمت حازم قليلًا ثم عاد يقول: ستنجح يا صديقي مازال أمامنا أربع أيام..أنا هنا معك..ان احتجت إلى المساعدة يا صديقي فقط اطلب مني هذا..

ودعت صديقي وأنهيت المكالمة وعقلي مشغول في الطريقة التي سوف أستطيع أن أقنع بها أبي كي يسمح لي بالسفر مع أصدقائي..

لم أكن مُعتادًا على طلب أي شيء من أبي..متطلباتي بسيطة جدًا لم تتناسب قط مع عمري..آكل وأشرب وأنام فقط..

أذاكر لكي أنجح تجنبًا للعقاب فقط..

أنهيت الدراسة في مرحلتي الثانوية بمجموعٍ جيد جدًا كان كفيل بإدخالي أحد كليات القمة في القاهرة..

لم أنتظر كلمة شكرٍ أو ثناء..



لم انتظر أي شيء من أي حد..

فقد تفوقت حتى أتجنب العقاب، فقط..

لم أرد التفوق ولم أرد كلية القمة تلك..

رغم يقيني بأن أبي لم يكن ليعاقبني حتى وان كنت رسبت في الثانوية العامة..

فلم يكن يهم أبي سوى أن أصبح رجلًا، وأعتقد إنني قد حققت له ما يريد..

زفرت وأنا أذرع غرفتي جيئةً وذهابًا.. وقررت أن أسلم طريقة هي الخروج ومواجهة أبي مباشرة برغبتي في الذهاب في تلك الرحلة مع أصدقائي وليحدث ما يحدث..

خرجت من غرفتي ببطءٍ..

كان أبي يتناول قهوته في غرفة الجلوس..سرت حتى توقفت أمامه تمامًا..

لم أعد أخاف منه كما الماضي..ربما هزال جسده وشيب شعره والأمراض التي أصابته هي من جعلت الخوف يهرب من قلبي ناحيته..لم أعد أخافه..

ولكني لم أنسى عقابه قط..

لم أنس ولم أغفر ولن أسامح..

نظر لي في عيني مباشرة..منذ سنوات كانت تلك النظرة كفيلة بأن تجعلني أتبول في سروالي..

هو يعلم هذا جيدًا..وأنا أيضًا أعلمه ومتأكد منه..

قلت له: أبي، هناك أمر أود مناقشته معك إذا سمحت لي..

لم يرد ولكنه أشار لي بمعني أن أتحدث..



عدت أقول له: هناك رحلة إلى مدينة الإسكندرية تنظمها إدارة الجامعة لدينا، حضرتك تعرف أننا الآن في أجازة منتصف العام وهي فرصة لي للتخفيف من أثر الدراسة علي..

لم يتكلم وان بدا عدم الرضا علي وجهه فقلت متوسلًا: أبي، أرجوك..سيكون معي زملائي ومشرفين من الجامعة فلا داعي للقلق.

زفر أبي بحرارة ثم قال وهو يشيح بوجهة بعيدًا عني: قلت لي أين ستذهب تلك الرحلة، وكم ستمكث؟.

أسعدني تجاوبه النادر معي فقلت له بسرعةٍ: سنذهب إلى الإسكندرية ،سنتجمع اليوم وسنمكث يومان تقريبًا..

ارتكبت وعدت أقول: في الحقيقة يا أبي أنا لا أعرف المدة التي سنقضيها هناك ولكني سأسأل أصدقائي وسأعرف كل شيء بالتفصيل الممل ومن ثم أقوم بإخبارك..

عاد ينظر لي ثم قال: حسنًا، لعلها فرصة تستطيع فيها الترفيه عن نفسك قليلًا..

صمت وأشاح بوجهه بعيدًا وعاد إلى فنجان قهوته، لأذهب وأنا غير مُصدقًا موافقته على ذهابي بتلك الطريقة السهلة والسلسة، أنا لم أبذل مجهودًا يذكر في محاولة إقناعه..

شعرت أن هناك شيئًا ما خطأ..ولكني لم أشأ أن أفسد على نفسي فرحتي بذلك الانتصار..

حتى ولو كان انتصار بسيط لا يذكر..ولكنه يظل انتصار..

انتصار شعرت بمذاقه في حلقي..

عرجت على غرفتي سريعًا...

أمسكت بهاتفي واتصلت بصديقي حازم الذي أجاب على المكالمة فورًا وسمعت صوته يأتيني عبر الأثير بقلقٍ: ها..بشرني، هل سارت الأمور كما اتفقنا..

قلت له: أجل يا صديقي..سيسير كل شيء كما اتفقنا..استعد..

رد حازم: أنا مُستعد منذ دهر يا صديقي..اعتقد انه قد حان دورك الآن..

لم أرد عليه..

وأنهيت المكالمة..

وبدأت أعد نفسي لرحلتي..

الأخيرة..

***





الورقة الخامسة عشر

(١٥)

قرأت ذات مرة نظرية غريبة للغاية..

تقول تلك النظرية أن عالمنا المادي الذي نعيش فيه ينقسم بدوره إلى عوالم أخرى..لكل عالم من تلك العوالم تردد فيزيائي مختلف عن ترددنا فلا نستطيع أن نراه..

يطلق المجتمع العلمي على تلك العوالم اسم (العوالم الموازية)..

ففي تلك العوالم الموازية تكون أنت نفسك هناك ولكن بشكلٍ مختلف..لا أدري كيف؟؟..

الأمر صعب..

تقول النظرية أن العوالم الموازية تتشابه في أشياءٍ، وتختلف في أخرى.

فمثلًا سنجد أن في عالمنا قد خاض العالم حربان عالميتان..

انتصرت أمريكا وحلفائها في عالمنا..بينما انتصرت ألمانيا واليابان وإيطاليا في العالم الآخر..وفي العالم الثالث انتهى كل شيء في تلك الحرب وعمَّ الخراب ذلك العالم..

هناك تفسير آخر لتلك النظرية هو تفسير ديني بعض الشيء..بأن هناك عوالم أخرى تحت الأرض مثلًا يعيش فيها كائنات حية مثلنا..ليس في الشكل ولكن في الوجود..



حتى أن هناك بعض الحضارات القديمة قد بنيت عقائدها الدينية على هذا الكلام..

ما عرفته بعد بحث وتمحيص في العديد من المواقع الأجنبية..

أن محاولة إنشاء اتصال بين بُعدين مختلفين قد حاول العديد من العلماء الخوض فيه عن طريق إنشاء بوابات بُعدية تسمح بالاتصال..وربما أيضًا تسمح بالسفر من وإلى الأبعاد المختلفة..

أثارتني الفكرة وإن جعلت قلبي يرتجف من الخوف..

وفكرت..

ما المانع أن نستيقظ في أحد الأيام لنجد أحد رجال الرايخ الثالث من بُعدٍ آخر يبسط سيطرة ألمانيا النازية علينا

بُعدنا؟..

أجل..ما المانع؟؟

***

الولايات المُتحدة الأمريكية.
لانغلي – ولاية فيرجينيا.
مبني إدارة الاستخبارات الأمريكية.
معامل إدارة اختبار وتقييم الأسلحة السرية الجديدة.
عام ١٩٨٠ ميلادياً.

اجتمع عدد كبير من الأفراد في قاعة الاجتماعات التابعة لإدارة اختبار الأسلحة السرية في مبنى الاستخبارات الأمريكية..كان بعضهم يرتدي أزياء مَدَنية وكانوا تابعين للإستخبارات..في حين البعض الآخر يرتدي أزياء سلاح مشاة البحرية الأمريكية وآخرون يرتدون أزياء سلاح الجو الأمريكي.



كان الجمع الكبير محتشد حول طاولة اجتماعات ضخمة وأمامهم على الحائط المواجه لهم شاشة عرض كبيرة للغاية تحتل مساحة الجدار بأكمله ، ووقف أمامها شاب في أوائل العقد الثالث من عمره يرتدي معطفًا أبيض اللون وأسفله قميص وربطة عنق..

ملامحه كانت دقيقه، وان كانت لحيته الغير حليقة قد أعطته قدرًا من الوسامة..

بينما عويناته الدقيقة، أعطته قدرًا من الهيبة والوقار رغم سنه الصغير..

كان واقفًا مواجها للجمع يتحدث بحماسٍ شديد قائلًا لهم:

كما قلت لكم فكلنا نعلم أنه من بعد نظرية النسبية للعالم (ألبرت أينشتاين) تم تأكيد أن عالمنا المادي الذي نعيش

فيه يتكون من أربعة أبعاد رئيسية هي الطول والعرض والارتفاع والزمن هذا طبعًا بعد إثبات أينشتاين في معادلاته الرياضية والفيزيائية أن الزمن هو البُعد الرابع لعالمنا..

صمت للحظات متأملًا أثر كلماته على وجوهم ثم عاد يتكلم بلهجة مسرحية متحمسة: لكن الحدث الرئيسي كان عام 1954 ميلاديًا عندما قام العالم (هيوايفريت) بإلقاء قنبلة ساعدت في تغيير الكثير من المفاهيم التي لدينا حول العالم الذي نعيش فيه..

عندما أعلن بمعادلاته الفيزيائية فرضية تقول أن هناك أكوان تعيش حولنا في نفس الحيز من الفراغ الذي نحتله ولكنها في أبعاد ذات ترددات صوتية وضوئية مختلفة عنا..

لذلك لا نستطيع رؤية سكان تلك الأبعاد أو التواصل معهم بأي طريقة..

تحرك من أمام الشاشة الكبيرة وذهب إلى طاولة موضوع عليها جهاز العرض وضغط زرًا ما فيه لتظهر على شاشة العرض عدة صور بيانية وصورة لجهاز غريب الشكل يشبه المدفع..



بدأت همهمات الحضور المتسائلة تتعالى في حين عاد الشاب إلى موضعه وقال:

أيتها السيدات، أيها السادة..هذا الجهاز الذي أمامكم في الصورة..هو ثروتنا المقبلة..ثروة الولايات المتحدة الجديدة..

هذا هو رمز حضارتنا القادمة..

تقمص دور المحاضر مرة أخرى بأسلوبٍ مسرحي وهو يقول: منذ عشرات السنين والبشر يبحثون عن اتصال بحضارات أخرىً تعيش معنا عبر الكون الفسيح، لكن كالعادة كان البشر يبحثون في الاتجاه الخاطئ..

لقد كانوا يبحثون في المحيط بينما مرادهم بجوارهم على الشاطىء..

الحضارات الأخرى هنا..

ثم أشار بيده بحركةٍ دائرية وهو يتابع: حولنا..

ثم عاد يشير إلى صورة الجهاز الكبير وهو يقول: ذلك الجهاز يقوم بإطلاق تردد ذو ذبذبة منخفضة تؤدي إلى خلق ثقبٍ في الفراغ البُعدي..مما يتيح لنا التنقل من وإلي الأبعاد الأخرى..بالإضافة إلى انه..

قاطعه رجلًا أسود البشرة حاد القسمات يرتدي زيًا عسكريًا، تابع لسلاح الجو الأمريكي وهو يقول بنفاذ صبرٍ واضح: وماذا ستجني الولايات المُتحدة من هذا.. إن افترضنا صحته بالطبع..

نظر له العالم الشاب نظرة معلم يشرح لتلميذه أمر بديهي لا يحتاج إلى سؤال أو تفكير وقال له: تخيل معي يا سيدي كم المميزات العلمية والتكنولوجية والعسكرية التي قد تحصل عليها الولايات المُتحدة نتيجة إجرائها لاتصال بأحد تلك العوالم الموازية المُحيطة بنا في كل مكان..

رد عليه رجلًا عسكريًا آخر تابع لمشاة البحرية قائلًا: وما أدرانا أنك لن تجلب إلينا احتلالًا عسكريًا أو استعمارًا من نوعٍ ما، إنك إذا قمت بإجراء اتصال مع حضارة من عالم آخر وصادفنا أنها أكثر تقدمًا منًا..ففي تلك الحالة سنلعب لعبة الأمريكيين



والهنود الحمر..وأظن أنك لا ينقصك الذكاء لتدرك من الذي سوف يلعب دور الهنود في تلك اللعبة..

رد عليهم الشاب وقد بدا انه يكافح لكبح جماح غضبه: من أجل البشرية الضعيفة، ومن أجل بلادنا سنخاطر..البلاد بأكملها حكومة وشعبًا تريد البحث عن حضارات وكائنات ذكية في الكون الفسيح الذي نعيش فيه..

المدنيين يريدون الاستفادة والتعلم من كائناتٍ أخرى والعسكريون يريدون تكنولوجيا عسكرية حديثة حتى يضمنوا بقاء التفوق العسكري الأمريكي على كل دول العالم..

لذلك يجب المخاطرة..وهذا هو السبيل الوحيد..

همَّ عسكري آخر أن يقاطعه بفظاظة لكنه تابع بدون أن يعطيه الفرصة للتحدث:

ما سنقوم به هو مجرد تجربة بسيطة ليس إلا..ثم لا تنسوا جميعًا أيها السادة أن لديّ تفويض عالي الفئة من رئيس البلاد شخصيًا يأمرني فيه بسرعة الحصول على نتائج من تلك التجربة..

قالها بشماتة واضحة فمعنى كلامه أن بموافقتهم أو بدونها فالتجربة قائمة، وهم مجرد متفرجين ومشاهدين؛ لا دخل لهم في سير الأحداث..

ارتفعت عبارات الاستنكار من أسلوبه بينما ابتسم هو ابتسامة صفراء مشيرًا لهم أن يتبعوه إلى مكان الاختبار..

نهضوا مجبرين وساروا خلفه وهم يلعنون الشاب وخصوصًا العلماء منهم..

وصلوا إلى غرفةٍ كبيرة بيضاء اللون وفي وسطها يقبع ذلك الجهاز الشبيه بالمدفع، توقف العالم الشاب أمام الجهاز الكبير أثناء مرورهم أمامه وأشار إليه قائلًا: هذا هو مفتاح قفزتنا التكنولوجية القادمة أيها السيدات والسادة الكرام..

شرع في السير لكنه تذكر شيئًا ما فالتفت ليواجههم مركزًا بصره على الرجل الأسود الذي قاطعه في بداية حديثه وهو يقول ضاغطًا كل حروف كلماته:



كما قلت سابقًا..هذا الجهاز فكرته الأساسية بسيطة للغاية فهو يعتمد على إطلاق ذبذبات ذات تردد معين في الفراغ، تلك الذبذبات ستقوم بإنشاء فجوة بُعدية لتكون مركزًا فيما بعد لاتصالنا بمخلوقات الأبعاد الأخرى، التي تعيش حولنا، ولكن في ترددات أخرى تكون حواسنا غير قادرة على التعامل معها..لذلك نحن سنقوم بالتشويش على تلك الترددات التي تمنع حواسنا من رؤية تلك الكائنات وبذلك سنستطيع رؤيتها بكل بساطة وسهولة..

لم يمهلهم حتى يعلقوا على كلامه فمشى وهو يشير لهم أن يتبعوه وقد ارتفع غضب الجميع على طريقته الفجة تلك..

لكنهم تابعوا السير ورائه على مضض حتى دلفوا إلى غرفة أخرى أصغر حجمًا ممتلئة بالأجهزة ملحقة بغرفة الجهاز الكبِيرة وأحد جدرانها الذي يطلُّ مباشرة على الجهاز تحل محله واجهه زجاجية كبيرة حتى يتسنى لهم رؤية التجربة كاملة..

كانت تلك الغرفة تتسع لهم بالكاد مع عدد الأجهزة الكبير الموضوع فيها..

قام العالم الشاب بضغط عدة أزرة أمامه وهو يقول: استحكاماتنا الأمنية عالية جدًا هذه الليلة، حيث يقوم بحراسة مدخل المبنى كتيبة كاملة من رجال مشاة البحرية بجوار الحراسة العادية حتى نؤمن أنفسنا..

لم يسمح لهم أن يعقبوا فعاد يقول وسبابته تمتد لتضغط زرًا كبيرًا أحمر اللون: الآن سنرى أول تجربة فعلية من نوعها لمحاولة الاتصال بكائنات أخرى من حضارة غير أرضية ولكن لنكن أكثر دقة سنقول حضارة أرضية ولكنها ليست بشرية.

ضغط الزر وصدر عن الجهاز صوت فرقعة مكتوم وتصاعد منه بخار كثيف أزرق اللون وبعض الشرارات الكهربائية..

كان الكل يتوقع رؤية فجوة ما سوداء وبداخلها توجد كائنات غريبة شبيهه بالبشر تتحرك في كل مكان..ربما ظن بعض المتشائمين أن هناك جيوشًا جرارة ستحاول عبور تلك الفجوة لاحتلال عالمنا..



لكن كل ما حدث أن التيار الكهربائي قد انقطع عن المبني في سابقةٍ لم تحدث منذ إنشاءها الجاهز الأمني..

سادت حالة من الهرج والمرج في الظلام التام...

بعد لحظات ومع بِدأ محاولة الأشخاص الموجودين الخروج من الغرفة..سمع الجميع صوت طرقات عنيفة على الزجاج الأمامي للغرفة..أحسَّ الجميع أن الزجاج المقوي المضاد للانفجارات سينكسر من شدة الطرقات..

سمع العالم الشاب صوت الصرخات من حوله..وكذلك صوت شد أجزاء بعض الأسلحة الشخصية التي يحملها الرجال العسكريون..

استمر الأمر لثوانٍ فقط..ثم عاد كل شيء لطبيعته..وعاد الضوء..مرة أخرى ليصمت الجميع..

نظر الكل إلى العالم الشاب بحثًا عن تفسيرٍ لديه لما حدث ليجدوه صامتًا واجمًا..وعلى وجهه علامات الرعب قد تركت توقيعها على ملامحه العابثة..

فسأله أحد العسكريين: هل فشلت التجربة؟.

نظر العالم الشاب له نظرةٍ بارجة ثم نظر مرة أخرى إلى الجهاز الذي تنبعث منه الأبخرة بكثافةٍ شديدة ثم وضع يداه الاثنان أعلي رأسه وهو يغمض عينيه ويقول:

أعتقد ذلك، للأسف لم تنجح التجربة..

لقد فشلنا..

تعالت عبارات الشماتة واضحة جلية وظهرت الابتسامات الصفراء على الشفاه فرحًا في هذا العالم الشاب المتغطرس..

وبدأ جميع من الغرفة في مغادرتها بدون انتظار تعليق العالم الشاب على ما حدث لجهازه..

ومع آخر فرد قام بمغادرة الغرفة كان الصوت يدوي في عقل العالم الشاب مسببًا له الفزع:

شكرًا لك على إعطائنا مُفتاح الوصول إلى هنا، لقد عُدنا مرةً أخرى

***





الورقة السادسة عشر

(الحادث)

(١٦)

عدت من الرحلة التي من المفترض أنني كنت فيها بعد خمسة أيام..

كان يشغل بالي طوال الطريق من الإسكندرية إلى القاهرة تلك الأعراض الغريبة التي داهمتني وأنا وسط أصدقائي..

العديد من أحداث الرحلة لا أتذكرها..وكأنها قد مُحيت من ذاكرتي تمامًا..

لا أذكر متى استيقظت ومتى خرجت من منزلي؟؟!

ولا كيف عرجت على صديقي حازم وذهبنا معًا وحدنا إلى هناك؟؟.

ثم غيبة حازم المفاجئة والطويلة وعودته مرة أخرى؟؟.

كل أصدقائي قالوا إنني كنت شاردًا مهمومًا طوال الوقت بدون سبب..

لكن لا يهم..لقد استمتعت، لا فعلًا لقد تذوقت متعة لم أذقها في حياتي كلها.. أشعر إنني قد وصلت إلى نهاية المطاف هنا..لا أريد شيئًا آخر من الدنيا..

وصلت إلى عمارتنا، فتحت بوابة العمارة الحديدية بالمفتاح الوحيد الذي يوجد معي ، حيث إنّي لا أملك نسخة من مفتاح باب شقتنا نظرًا لقلة خروجي من المنزل..

لكن قبل سفري أخذت مفتاح أخي الخاص بالبوابة، ولم آخذ مفتاح الشقة، لأن بالتأكيد عندما سأعود..سيكون هناك أحد من عائلتي في المنزل..



أمي ربما..ستكون موجودة..أتمنى هذا.

صعدت درجات السلم القليلة التي تفصلني عن شقتنا في الطابق الأول وقفت أمام باب الشقة، وضعت حقيبتي أرضًا وضغطت زر الجرس..

مرة اثنتان ثلاثة أربعة..

لا مُجيب..فقط أسمع صوت رنين الجرس يصدح في الشقة لكن لا صوت آخر..

الأمر غريب..

هل هم نائمون؟؟. لكن رنين الجرس كفيل بإيقاظ قبيلة من الأفيال، ثم إن الوقت مازال مبكرًا عن موعد نومهم..لا هذا صعب.

هل خرجوا جميعًا بنفس التوقيت؟؟. رغم أنه كان حدثًا نادرًا لكنه مقبول، من الممكن أنهم قد خرجوا جميعًا..

لكن المشكلة إنني نسيت هاتفي الجوال في البيت قبل سفري..أي أن رفاهية اتصالي بهم حتى أستعلم عن مكانهم ليست موجودة لدي الآن..

لعنت الحظ وقررت أن لا حل أمامي سوى أن أنتظرهم عند عمي في الطابق الرابع..فأنا أريد أن أستريح وبالتالي لن أستطيع انتظارهم في الشارع..

تعكر مزاجي الرائق وأنا أسب وألعن عائلتي في سري بينما أنا أصعد إلى الطابق الرابع حيث يسكن عمي، أحسست بأنني مُرهق للغاية وكل عظمة في جسدي تئن من الألم..

أشعر بحاجة ماسة إلى النوم والطعام..

أرجعت أسباب تعبي وإرهاقي إلى صعوبةِ الرحلة والسفر..رغم أن السبب لم يقنعني..



وصلت إلى باب شقة عمي وضغطت زر الجرس لحظات وفتحت لي ابنة عمي ذات السبع عشر ربيعًا وهي متشحة بالسواد..

تعجبت من مظهرها الذي جعل قلبي ينقبض..هممت بأن أسألها عن سر ارتدائها للأسود فإذا بي أسمع صوت عمي يأتي من خلفها ويسألها عن من بالباب...

لأجد عمي يزيح ابنته الواقفة أمامي ويواجهني..بمجرد أن رآني عمي؛ حتى جذبني من ملابسي واحتضنني وأخذ يبكي بشدة..

لم أفهم ما يحدث حولي، حاولت أن أتكلم وأسأل..

ماذا حدث يا قوم لكل هذا؟.

لكن الكلمات احتبست في حلقي وأبت أن تخرج..فخنقتني..

ابتعد عمي عني وهو ينظر في وجهي وقال بصوتٍ باكي: لقد ماتت عائلتك..

فقط، ماتوا...هكذا بمنتهى البساطة والسهولة..أغيب عدة أيام عن المنزل وأعود لأجد عائلتي ميتة..لم أستطع استيعاب كلماته حسبت إنني أحلم أو أن عمي يمزح معي..

شعرت بخواءٍ غريب في نفسي..لا أعلم..

أنا لا أستطيع تحديد مشاعري..أنا لا أشعر بشيءٍ على الإطلاق..

مادت بي الدنيا تعبًا وإرهاقًا وليس حزنًا..

فنظرت إلى عمي مأخوذًا فتابع هو: لقد ماتوا جميعًا بسبب تسرب الغاز من الأسطوانة ولم ينتبهوا إلى هذا التسريب، فماتوا وهم نيام على أثره..

ظلت عبرات عمي تتساقط بينما أسمع صوت بكاء ابنة عمي من داخل الشقة..

أنا لا أريد أن أبكي..



لا لا لا ...لا أريد البكاء..

ليس عليهم على الأقل يا الهي..

ليس هم..

كدت أسقط فاسَندني عمي حتى أدخلني إلى الشقة، وأجلسني على أقرب مقعد لي وطلب من ابنته إحضار كوب ماء لي..فهرعت مسرعة تأتيني بكوب الماء لأتجرعه على دفعةٍ واحدة..

وعاد عمي ليقول: لقد اتصلت عليك مرارًا وتكرارًا، لكنك لم ترد علي..فقلقت عليك وخفت أنه قد..

قطع حديثه ثم عاد يقول: أصابك مكروه – لا سمح الله -.

لولا أنني قد تذكرت حديثي مع أبيك قبل رحيله حيث قال لي انك مسافر إلى الإسكندرية مع أصدقائك..

لقد كلمني هاتفيًا مباشرة بعدما كلمته أنت لكي يسمح لك بالسفر..

فاطمأن قلبي عليك قليلًا..

نظرت له بعينٍ حائرة، لا ترى..كنت مضطربًا مهزوزًا لا أملك من أمر نفسي شيء..الشعور بداخلي متناقض هل أفرح أم أحزن مما حدث...

لقد فقدت عائلتي كلها في يومٍ واحد. هذا مُحزن بالطبع.

عائلتي التي عاملتني أسوأ مُعاملة ممكنة قد يتلقاها إنسان في حياته. وهذا لا يعني لي شيء على الإطلاق الآن، وكنت فرحًا..

كان بداخلي جزء يخجل من الشعور بالفرح لموت عائلتي..

رددت بلا وعي مني: لقد نسيت هاتفي في البيت للأسف قبل سفري..لو أن فقط..



قاطعني عمي وهو يربت على كتفي قائلًا: لا عليك هذا قدر الله، لقد نجوت يا بني، كان من الممكن أن تكون معهم الآن..

ثم بدأت عبراته تسيل، فلم أحتمل وقلت له بتوسل: أرجوك يا عمي لا تبك..

صمت لوهلةٍ ثم عدت أقول: أنا مُتعبٌ للغاية، اسمح لي أن أعود إلى الشقة..

قال عمي رافضًا ما طلبته: حالتك سيئة يا بني، ابق هنا معي أفضل..حتى نستطيع الاعتناء بك جيدًا فبحالتك تلك لن تستطيع الاعتناء بنفسك قط..

رفضت وأنا أصر على طلبي بشدة فلم يجد حل سوى الرضوخ لمطلبي فقال: حسنًا، سأوصلك إلى الأسفل..

أمر ابنته بجلب سلسلة مفاتيحه وإغلاق باب شقتهم في حين أسندني هو وبدأ يساعدني في نزول الدرج بينما يلقي علي بعض من عبارات المواساة المعتادة حتى وصلنا إلى باب الشقة فأخرج مفتاح من سلسلته ودسَّه في بابنا وعالج رتاجه، ودفعه إلى الداخل وأخرج المفتاح، أعطاني إياه وهو يقول: إن احتجت أي شيء ما عليك سوى مُهاتفتي فقط، دقائق وسوف أرسل لك ابنة عمك بالطعام لابد أنك جائع يا بني.

ثم صمت لحظات وقد لمعت عيناه من أثر الدموع الحبيسة في مقلتيه وعاد يقول: باب عمك مفتوح لك دائمًا يا أمجد في أي وقت..

ربت على وجنتي وطبع قبلة حانية على جبهتي وخرج من الشقة وقبل أن يغلق الباب سمعت صوته يقول: سوف نذهب غدًا إلى قسم الشرطة لأنهم يحتاجون إلى أقوالك..لقد قالوا أن حادث الوفاة كان قضاء وقدر ولا توجد أي شبهة جنائية في الأمر إطلاقًا لكن هذا الأمر مجرد روتين فقط ليس إلا..

نظر لي نظرة مطمئنة ومشجعة ثم أغلق الباب وتركني وحدي.. رغم الدموع والبكاء..أشعر أنني قد لمحت سعادة في عيني عمي!



أحسست أنني قد بدأت أفقد صوابي..

نظرت إلى الشقة..

كعادتها باردة وكئيبة ومملة وصامتة لم يتغير فيها شيء..

شعرت أن أبي وأمي وأخي سيخرجون الآن من أي غرفة، سمعت أصواتهم، ولكن قلت في نفسي أن الميت لا يتكلم..

سمعت صوت يدوي في عقلي يقول: وما أدراك أنت، هل مت من قبل؟.

جلست على أقرب مقعد لي..وللمصادفة كان مقعد أبي المُفضل الذي يجلس عليه في أغلب الوقت الذي يجلسه بالمنزل..

شعوري المتناقض الذي أشعر به الآن كفيل بأن يمزق روح أي شخص آخر في مكاني..

رغبتي نفسها متناقضة، لا أعرف هل أفرح وأكون سعيد بالتخلص ممن أذاقني الأمرين في حياتي وساهم في تمزيق روحي منذ صغري وإنهاء حياتي قبل أن تبدأ.. أم هل أحزن على موت أبي وأمي وأخي..كل من لي بهذه الدنيا أصبح لا وجود له..

الوحدة ليست بشيءٍ جديد علي، لقد اختبرته من قبل..فهي رفيقتي الوحيدة في هذه الحياة..

وهذا الأمر هو عزائي الوحيد الآن..

لكن ما أربكني في تلك اللحظة حقًا..

أنني لست حزينًا على فراقهم ولست سعيدًا لموتهم..

أنا لا أشعر بهذا أو بذاك..

لكن ما لا أستطيع إغفاله أنني مُدمر نفسيًا بسببهم هم..



إنهم يستحقون الموت ألف مرة؛ لأنهم نبذوني وتخلوا عني..

عدت أفكر بأن هناك جزء قصي في نفسي حزين..أسود..يشعر بمرارة الفقد والخذلان.

نظرت حولي ثم نهضت وأنا أنظر إلى المقعد الذي كنت أجلس عليه قبل لحظات متأففًا وأنا أقول لنفسي:

لا يهم ما أشعر به الآن..

لقد تحررت أخيرًا..

للمرة الأولى في حياتي..

أنا حر.. وحزين..



الورقة السابعة عشر

(ما بعد الحُرية)

(١٧)

أعترف أنني هُزمت، لم أستريح بعد وفاة عائلتي..

كنت أظن أن بموتهم ستنتهي كل متاعبي..لكن هيهات.

بعد موت عائلتي بدأ الآخر ينشط بطريقةٍ ملحوظةٍ للغاية، فقد أصبح كالمذياع.. يتحدث طوال الوقت..وفي كل شيء..

عن ما أريده وعن ما أشعر به وعن ما أراه..

كنت أحيانًا أنصت إليه، أحيانًا أخرى لا أُعيره أي انتباه فكان يغضب مني ويحاول استفزازي بشتى الطرق..لكني لم أكن أسمح له بالنجاح..

كان يتحدث ويتحدث ويتحدث ويتحدث لساعاتٍ طويلة..

أُشَغِّل الموسيقى المفضلة لي على حاسوبي المحمول وأرفع درجة الصوت إلى أقصي حد يسمح به الجهاز المسكين حتى لا أسمعه..

أفاجئ أني أسمع صوته نقيًا واضحًا قويًا رغم ضجة الموسيقى من حولي..

أغلق الموسيقى، فيصمت..

كان دائمًا يخبرني عندما أغضبه إنّي المسئول عن قتل أهلي..

وإني شيطان مريد.. كنت أضحك..



يغضب..

أقول له ولنفسي وما الإنسان إلا شيطان كلاهما وجهان لعملةٍ واحدة..

وأضحك..

فيضحك معي..

أصبح الآخر جزء مني لا ينفصل عني أبدًا، كنت أشعر به في دمي..

أحيانًا كثيرة كنت أشعر معه بالألفة، وأحيانًا أخرى كنت أخاف منه..

كنت أتحاشى التفكير كثيرًا فكنت أحاول شغل نفسي بعمل أي شيء، كنت أحاول أن لا أقع في فخه وأتحدث معه، كانت محاولة يائسة حى أحافظ على الجزء السليم المتبقي من عقلي..

ففكرة الحديث مع صوت في عقلك لا يسمعه إلا أنت سيصيبك بالجنون تدريجيًا بدون أن تشعر..

هكذا حافظت على الحد الفاصل في علاقتنا أنا والآخر..

لكن هو..

أجبرني على الحديث معه..بطريقته.

***



الورقة الثامنة عشر

(رد فعل مُرعب)

(١٨)

جلست أمام التلفاز في محاولةٍ مني لأن أجتر الوقت اجترارًا، لم أعد أذهب إلى الجامعة أو لأي مكان..لم أعد أرد على اتصالات أصدقائي وزملائي..

حتى عمي تجاهلت اتصالاته، وعندما كان ينزل هو أو ابنته كي يطمئنوا علي ويعطونني الطعام..كنت أتصنع إنني قد استيقظت لتوي من النوم على صوت طرقاتهم على باب الشقة حتى أتحاشى الحديث معهم..لم أكن أريد الحديث مع أي أحد...

لم أعد أفعل أي شيء في حياتي..آكل وأجلس وأنام في مكانٍ واحد لا يتغير..

أصبحت الشقة مثل مقلب قمامة كبير..لكني لم آبه بهذا..ولا حتى الآخر.

بقايا طعام هنا، ملابس مُتسخة هناك..فوضى عارمة حقًا تليق بي..

حتى هواء الشقة أصبح ثقيلًا كثيفًا يجعل التنفس عسيرًا، بطريقةٍ غير مفهومة..

جلست في ذلك اليوم، أتنقل بين القنوات في فتورٍ وملل، كنت أفكر لحظتها في الخروج لاستنشاق بعض الهواء..رغم إنني لم أكن قد مللت من الجلسة في المنزل..

لكن هواء المنزل كنت أحس أنه يجثم على صدري..خانقًا إياي..

قطع حبل أفكاري صوت غريب يأتي من المطبخ..

صوت وكأن أحدهم قد أزاح شيئًا ثقيلًا من مكانه..



تسمرت من الخوف ولم أستطع التحرك فقط أرهفت السمع، حتى أتى إلى مسامعي صوت شيء زجاجي يتكّسر.

هببت من مكاني لأقف وقدماي ترتجفان بشدة ولا يستطيعان حملي..قلبي ينبض بعنفٍ شديد وعرقي يسيل غزيرًا على عيناي محرقًا إياهما..

شعرت أن جلدي يحترق وشعرت بوخز في كل أنحاء جسدي بسبب ارتفاع ضغط دمي من الخوف..

لم تواتيني الشجاعة بأي حالةٍ أن أذهب إلى المطبخ لكي اكتشف ما يدور بمطبخي الذي لا يبعد عني سوى عدة أمتار قليلة فقط..

أيًا كان ما بداخل المطبخ..جن أو شبح أو عفريت أو لص..

أنا أضعف من أن أواجه..

أضعف حتى من أن أحاول..

قررت إنني لن أواجه أحدًا..

نظرت إلى باب الشقة أقيس بنظري تقريبيًا المسافة التي سوف أقطعها بسرعة حتى أستطيع الهروب من تلك الشقة!!..

برغم كل ما حدث ويحدث لي فأنا أظل أجبن من أن أواجه أي شيء..

هممت بالسير ناحية باب الشقة حتى انقطع التيار الكهربائي فجأة ليتركني في ظلامٍ دامس غريب..

كدت أفقد توازني وأسقط بسبب توقفي المفاجئ عندما انقطع التيار الكهربائي..

تسمرت في مكاني وأنا أدرس ذلك الموقف الجديد وصوت حفيف يأتيني من المطبخ..



توقف الزمن في تلك اللحظة وأبَىَ أن يغادرها..

فلم يكن الظلام المحيط بي ظلام عاديًا..بل كان ثقيل يجثم على الصدور ويخلع القلوب..

زادت ضربات قلبي إلى الحد الذي ظننت معه انه سيظل يدق بسرعة حتى يتوقف..

صوت الحفيف مازال يأتيني من الداخل..

ثم توقف بغتةٍ..وانقبض قلبي حين شعرت بعشرات الأشخاص يتحركون من حولي..

وكانوا يهمسون لي بكلماتٍ غير واضحة..

شعرت بالجنون عندما أحسست بأنفاس ساخنة لاهثة تقترب من وجهي لتحرق مسام جلدي..انتفضت وبدأت أركض في كل مكان متخبطًا في كل شيء..

ثم رأيت الشرفة..ورأيت أن يوجد نذرًا يسيرًا من الضوء فيها..يبدو أن انقطاع التيار لم يصب سوي عمارتنا نحن فقط لسوء حظي..

لم أهتم بذلك وركضت الأمتار التي تفصلني عن الشرفة بأسرع ما يمكنني حتى وصلت إليها وفتحت بابها، ودلفت إليها بدون أن أنظر خلفي.. وأنفاسي تتلاحق بشدة..

أغلقت الباب خلفي، وسقطت أرضًا ألهث وأنا أشعر أن روحي تنسحب مني تدريجيًا..

وأنا أنتظر في أي لحظة أن تباغتني تلك الأشباح وتقتحم علي مخبأي الأخير..

لحظات مرت علي حسبتها دهور ولم يحدث شيءٍ قط فحاولت النهوض ونجحت في ذلك وقمت بالجلوس على مقعد صغير موضوع داخل أحد أركان الشرفة محاولًا تنظيم تنفسي واستعادة تركيزي وصوابي المفقودين..



أخذت أعبث في جيب سروالي حتى أخرجت علبة الحبوب الصغيرة التي لم تعد تفارقني منذ أن وصفها لي الطبيب النفسي..

حتى عندما ذهبت إلى تلك الرحلة كنت آخذها معي..ولم تفارقني ولو للحظةٍ واحدة صحيح أنني لم أتناول منها سوى جرعة أو اثنتين لكنني مستعد الآن؛ لأخذ أيٍ علاج قد يريحني من هذا الرعب الذي أعيشه..

فتحت غطاء العلبة وأنزلت حبتان هما إحدى جرعاتي اليومية من هذا المُهدىء القوي.. رفعت يدي بالحبتين إلا أن صوت الآخر قاطعني بوضوح: صدقني لن يفيدك الدواء بشيءٍ يا صديقي العزيز أمجد..

انتفضت على مقعدي رعبًا..فبرغم كل تلك السنوات فأنا لم أعتد بعد على سماع صوت الآخر بطريقةٍ مفاجئة..دائمًا دخوله المفاجئ إلى غياهب عقلي كان يصيبني بالرعب..

حاولت تجاهل الصوت تمامًا ونظرت إلى السماء التي بدت لي مختلفة قليلًا في وقتها ولكني لم أُولي الأمر اهتمامًا فيكفيني ما أنا فيه..

الموقف برمته كان لي مخيفًا وسخيفًا للغاية في نفس الوقت..

لكن لا بأس فأنا معتاد على الآخر وحديثه..

قال الآخر وكأنه يقرأ أفكاري: أعلم..أعلم يا صديقي العزيز أنك لم تعتاد عليّ كل تلك السنوات ولا ألومك في هذا صراحة، فهو أمر صعب قليلًا أن تعتادني وصوتي في رأسك..لكن أريدك برغم ذلك أن تعلم أنني الوحيد في هذا العالم الذي يريد مصلحتك..أكثر حتى من عائلتك الجميلة الراحلة..

لم أعرف كيف أرد عليه فهو يشن عليّ حربًا نفسية ويمارس على عقلي ألعابه الذهنية باقتدار وتمكن..كان يعبث بي حرفيًا وفعليًا..



قررت مُجاراته قليلًا فقلت له بهدوءٍ شديدٍ وكأن الأمر لا يعنيني: أنا لا أعتقد أنك حقيقي من الأصل حتى أعتاد عليك..

خُيل إلي أني سمعت صوت قهقهة الآخر، وهو يقول بسخريةٍ لاذعة: إذًا أنت مجنون يا أمجد يا صديقي وها هو اعترافك..

تضايقت من إحكامه سيطرته علي، فصمتُ غاضبًا من نصره الصغير في حين عاد هو يقول: أو تعلم شيئًا يا عزيزي أمجد، عقل الإنسان سرٌ كبيرٌ للغاية..لم يستطع أحد سبر أغواره قط، فإذا لم تستطع السيطرة على عقلك بطريقةٍ صحيحة وسليمة..فسيكون الأمر جدًا سيء للغاية.

فعقلك يا عزيزي ليست وظيفته الوحيدة التفكير في المكائد والمصائب والجنس فقط، أو السيطرة على جسدك الأخرق..

صمت ثم أضاف بصوتٍ بدا لي حالمًا أكثر من اللازم: عقلك يشبه جهاز اللاسلكي أو الراديو،،فهو يبث موجات ويستقبل أخرى بسهولةٍ..فقط إن استطعت توجيهه إلى ذلك..

ثم سألني: أتعرف ما يعنيه كلامي يا أمجد؟.

لم أرد عليه فقال الآخر هامسًا: يعني أنك فعلت الكثير من الأشياء المثيرة والغريبة والخيالية قد لا تستطيع حتى أنت أن تصدقها..

يمكن مثلًا أن تزور عوالم كثيرة غير عالمك..

صمت ليقول بصوتٍ أكثر همسًا: أو أن تخلق واحدًا مثلًا..

توقفت حتى عن محاولة التفكير فيما يقوله وقلت بكل ما يعتمل داخلي من مشاعر متناقضة ما بين خوف من كلامه ورغبة في تصديقه: ما تقوله هراء، العقل البشري مهما كانت إمكانياته وقوته فهو محدود..



قال الآخر: محدود للغاية نعم..أحيانًا، وفي بعض الأحيان الأخرى يكون عبقري ولا حدود له على الإطلاق..

صمت وصمت أنا للحظات لم أدري ماذا أقول فأغمضت عيني ورفعت الحبتان إلى فمي لكن الآخر فاجئني بقوله: ماذا تظنني؟؟.

ثم صمت للحظات وعاد يقول بلهجةٍ حميمية كأنه صديق قديم يتحدث معي : بماذا تشعر ناحيتي؟

كنت أود أن أجاوب إجابات كثيرة..فقد كانت ظنوني وشكوكي لا نهاية لها..إلا أنه أجاب بدلًا مني: أنت تظن أنك جننت وفقدت عقلك، أو قد تظن إنني جنيًا مثلًا، أو قرينًا لك..

وربما قد فكرت أنني مخلوق فضائي ما يمهد لاحتلال الأرض من خلالك أنت..

لا تتعجب فأنا أعرف كل ما يدور داخل عقلك..

لكن اسمح لي يا صديقي بأن أقول لك انك غبي..

لأن الحقيقة أمامك طوال الوقت وأنت تتجاهلها..كأنك تخاف من الاعتراف بها..كأنها وصمة عار ستجعل الناس ينفروا منك..

الحقيقة أمامك واضحة جلية لا ريب فيها..

قلت بصوتٍ مُرتجف وقد فهمت أو ظننت إنني فهمت ما يُلمح إليه: أي حقيقةٍ تلك التي تتحدث عنها؟.

قال الآخر: إنك لم تحاول ولو للحظةٍ واحدة أن تفكر في أننا واحد..

أجل. كيان واحد في مكانين مختلفين..نعيش نفس الحياة بتفاصيلها الحزينة والسعيدة.. وإننا نكمل بعضنا الآخر.



وجهان لعملةٍ واحدة..أو مثلًا إننا كيانان مُختلفان، لكن يربطنا ببعضنا رابط ما لم ندري كنهه..

كان كلامه مطاطًا لا معنى له في نظري لكني قلت له: إذا كنَّا كيانان في مكانين مختلفين هذا مُحتمل، لا أستطيع إنكار أو نفي فرضيتك..

لكن إذا كنَّا كيان واحد وشخص واحد فلا معني لهذا سوى إنني مجنون.. وأحدث نفسي

مرت لحظات طويلة من الصمت خُيل إليّ فيها أن الحديث قد انتهى..

لكنني تجمدت من الخوف عندما شعرت بأنفاسٍ ساخنة لاهثة ترتطم برقبتي وأذني، وصوت الآخر يأتيني هذه المرة بطريقة مباشرة فيٍ أذني اليسري قائلًا:

ولماذا لا تكون أنت العاقل الوحيد في هذا الكون؟.



الورقة التاسعة عشر

(أنا)

(١٩)

آه...

ذلك العصف الذهني الذي يستخدمه اللعين معي. يربك كامل كياني..هو ذكي وخبيث..لا أستطيع أن أنكر..

انه موجود..لقد شعرت بأنفاسه وبصوته..ثم فقدت الوعي..

لم أحتمل..

آه فقط لو كنت نظرت إلى يساري قبل أن أفقد الوعي حتى أرى من يتلاعب بي بتلك الطريقة لكن عقلي الضعيف جعلني أفقد الوعي..

ربما كان هذا خيرًا لي..

لكن ذلك الآخر حقًا تُحيرني ماهيته..

في الآونة الأخيرة لم أعد أستطع منع نفسي من التفكير في ماهيته، هذا الأمر قد استحوذ على تفكيري تمامًا حتى صار شغلي الشاغل..

لكني الآن أمام احتمالين لا ثالث لهما..وهذا قد أسعدني بعض الشيء..



الاحتمال الأول:

هو أنني قد جُننت تمامًا..وهذا جيد جدًا وأعتقد إنني أميل إلى هذا الاحتمال بنسبة 80%..

الاحتمال الثاني:

هو أنني أواجه وحدي شيطان مريد يدفعني دفعًا كي أفقد عقلي..وأنا لا أميل إلى هذا الاحتمال فالشيطان لن يترك العالم كله ويقف عند أمجد وحده محاولًا إفقاده عقله بألعاب وحيل ذهنية..صحيح أنها مخيفة، لكنها تظل رخيصة ومبتذلة..

ولكن أليس الرخص والابتذال هما الطريقان الوحيدان للشيطان..

المشكلة انه في كلا الاحتمالين سأخرج من معركتي خاسرًا..الاحتمال الأول سيفقدني حياتي ومستقبلي..والاحتمال الثاني سيفقدني عقلي..

بعد حديث الآخر معي في المرة الأخيرة تعمدت أن يبقي ذهني مشغولًا طوال الوقت..رغم إنني أدرك أن هذا لن يقف أمامه حائلًا بيني وبينه إذا أراد الوصول إليّ..

قررت أن أنتظم في أخذ جرعات الدواء التي قد وصفها لي الطبيب في مواعيدها.. لكن تلك الأدوية لم تؤتي ثمارها..بل زادت الأمر سوءًا.

بدأ الأمر عندما كنت واقفًا أمام المرآة أعدل من هندامي لأنني قد قررت الخروج المنزل، كي أستنشق بعضًا من الهواء النقي والترفيه عن نفسي قليلًا..

لأنني منذ عودتي من رحلة الإسكندرية وعلمي بخبر موت أسرتي وأنا لم أرى الشارع قط، وأعتمد فقط على عمي لقضاء متطلباتي المختلفة التي تحتاج النزول إلى الشارع..

وقفت أمام المرآة وأنا أشعر أن بملامحي شيئًا غريبًا..غير مُعتادًا.

لكنني انتبهت أن الخلل في المرآة وليس في ملامحي أنا..



لأنني لاحظت أن صورتي المُكررة في المرآة..تتأخر عني في تأدية ردود أفعالي..

فإذا رفعت يدي..ترفع نسختي في المرآة يدها لكن ببطءٍ شديد..

اتسعت عيناي ذهولًا..

حركت شفتاي متمتمًا ببعض آيات القرآن..

لتحرك نسختي شفاهها بمنتهى البطء..

أحرك رأسي يمينًا ويسارًا يفعل شبيهي في المرآة نفس الأمر ولكن ببطء..

نسختي التي في المرآة تقوم بكل ردود أفعالي لكنها متأخرة عني بفترة زمنية طويلة..

ارتفع بعدها صوت الآخر بالصراخ: أنا بالجانب الآخر من المرآة..

في عالمك الثاني.. محبوس بعقلك..

محبوس بقلبك..

محبوس بروحك..

محبوس بداخل كل ما حولك..

أنا في كل مكان..

أنا الآخر..

فقط مُجرد آخر..

***



ملحوظة:

استيقظت في صباح أحد الأيام لأجد شخصًا ما قد عبث في مذكراتي، وقد أضاف إليها ورقة جديدة..موقعة باسم (الآخر)..الأمر مُرعب للغاية، ولكن المشكلة التي أواجهها أن تلك الورقة قد كتبت بنفس خطي، ولكن الأسلوب التي كتبت به ليس هو أسلوبي نهائيًا في كتابة مذكراتي..

أنا لا أتذكر أبدًا أنني قد قمت بكتابة تلك الورقة، أنا أفقد عقلي بالتدريج..

أنا أنهار، وأنهزم..

وأخضع..

***



الورقة العشرون

(الآخر)

آه يا صديقي أمجد..

يا صغيري العزيز..

أنا الآخر، حقاً لا أعلم لماذا أطلقت علي هذا اللقب السخيف، ولكن والحق يقال فهذا اللقب قد أعجبني..وقد قررت أن أذيل به جميع خطاباتي وكتاباتي فيما بعد..

ها ها ها ها ها..

لنتكلم جديًا الآن..

الآخر..

برغم أنك أحمق وساذج لكنك لا تعرف بالطبع أنك ولأول مره في حياتك قد اقتربت من إصابة كبد الحقيقة بدقةٍ مدهشةٍ للغاية..

الآخر هذا الاسم مرتبط ارتباط وثيق بحياة الإنسان..

فلكل إنسان لديه دائمًا جانبًا آخر، خفي لا يظهر دائمًا...

لا خير مُطلق..

لا شر مطلق..

لا شيء مُطلق هنا في هذه الحياة القصيرة..

لكنني المطلق هنا، أنا الحقيقة الوحيدة في هذا الكون..



أنا لست هلاوس من أي نوع..

أنا لست ضربًا من الجنون..

أنا لا شيء..بل أنا كل شيء..

أنا أقدم من كل شيء قد تتوقعه.

أنا من وجدت بعد الزمان والمكان والخلق الأوائل..

عرجت إلى سابع سماء..غُصت في أعمق أعماق المحيطات..

وصلت للأرض السابعة وعدت منها حيًا..

رأيت الكواكب والأقمار والنجوم، وكلٌ في فَلكٍ يسبحون..

أنشأت حضارات من لا شيء، وهدمت أخرى في طرفةِ عين..

أنا المُتحكم.. أنا النقي..

أنا الأقوى لأنكم ومن قبلكم كنتم الأضعف..

أنا.. الآخر.

***

وتحسب أنك جُرمٌ صغير

وفيك انطوي العالم الأكبر

داؤك منك وما تُبصر

دوائك فيك وما تشعر

الإمام والخليفة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)



الورقة الحادية والعشرون

(أصوات تأتي من السماء)

(٢١)

جريدة، وجدتها في المنزل ..بتاريخ ليس ببعيد..فهو يسبق يوم سفري إلى الإسكندرية بثلاثة أيام فقط..أبي لم يكن يهوى قراءة الجرائد..

فكان يرى أنها لا تعرض سوى الزيف فقط...

أمسكتها، لم أكن أهوى قراءة الجرائد أنا الآخر لكنني جلست أتصفحها..فضول، أو قتلًا للملل..

لا أعلم..شيئًا ما قد دفعني لأتصفحها وأنا الذي أذكر أنني لم أقرأ جريدة سوى مرة أو اثنتان في حياتي كلها..

تصفحتها.. لا شيء يلفت النظر سوى مقال واحد فقط..

مجرد مقال..فور أن قرأته، قمت بإحضار مقصًا وقصصته وقمت بلصقه في مذكراتي التي بين أيديكم الآن..

لتتمكنوا من قراءته..

أصواتٌ مِن السماء

على مر العصور، وباختلاف الأزمنة لم يخل التاريخ البشري من أشخاص كانوا يقومون إلصاق كل الأفعال الشنيعة التي يفعلونها للآلهة، أو لصوتها القادم من السماء..



فعندما يقتل الرجل أو يحرق بيت عبادة لديانة معينة، أو يأمر أتباعه بالانتحار، فعندما يسأله المحققون «لماذا فعلت هذا الأمر الشنيع يا رجل، ما دوافعك لفعل ذلك؟.»

كان يرد بمنتهي السهولة والبساطة أن صوت الله هو من دفعه لهذا.. صوت الله هو من أمره بهذا..

هناك أمثلة كثيرة لذلك وأقربها في عصرنا الحديث هو (جورج بوش) الابن.. الرئيس الأسبق للولايات المُتحدة الأمريكية صاحب قرارين غزو أفغانستان والعراق.

فقد برر جورج بوش قرار غزوه للعراق بأنه كان هناك صوت يسمعه دائمًا يأمره بغزو العراق وتمهيد الأرض لنزول المسيح!!.

وقد قال جورج بوش وأنا أقتبس عنه نصًا ما قاله في إحدى تصريحاته الصحفية عقب غزو الجيش الأمريكي لبلاد الرافدين: "لقد كان غزو العراق أمرًا إلهيًا خالصًا، لا دخل للبشر به..لقد كان قرار سماويًا ولم أستطع منع نفسي من تنفيذه."

لسنا هنا بصدد الحديث عن السياسات الأمريكية الاستعمارية الخرقاء بالطبع.. بل نتحدث ونقف عند تلك الكلمات..

قد يكون جورج بوش مريضًا نفسيًا، وقد يكون متشددًا ومتطرفًا دينيًا، وقد يكون مُحق بالفعل..وأنه سمع أصوات تأمره بغزو العراق وقتل الأبرياء..

إحدى جرائم القتل التي ادعى صاحبها إنها بإيعاز من أصواتٍ غامضة كانت من نصيب الممثل الأمريكي (مايكل بريا)..

كان مايكل في فترة من الزمن يعمل كممثل تليفزيوني شهير بعنوان (بيتي القبيحة)..



لم تكن شهرة مايكل بريا نابعة من موهبته التمثيلية الفذة، أو أداء دوره ببراعة أو حتى أمور أخرى يفعلها النجم الشهير كي يلفت له الأنظار كتعاطي المخدرات أو السهر في الأماكن المشبوهة..

إنما أتت شهرته نتيجة حالة غامضة أصابته ؛جعلته يقتل أمه بطريقةٍ بشعة حيث قال مايكل أثناء سير التحقيقات معه:

أنا لم أرد قط أن أقتل أمي، لكن الصوت هو الذي أمرني بذلك، الصوت قال لي أنني لم أقتل أمي بل قتلت الشيطان الذي يستحوذ على جسدها..لقد قتلت الشيطان.. وكنت أظن أنني سأحرر أمي لكنني قد قتلتها..

تعود أحداث القصة إلى يوم الاثنين الموافق الثاني والعشرين من نوفمبر عام 2010م..حيث حدثت مُشادة كلامية بين الممثل وأمه وخلال تلك المُشادة ذكرت كلمة الرب أكثر من مره..

حيث قال مايكل لأمه : «هل تؤمنين بوجود الرب يا أمي».

«لا يا مايكل، لا أؤمن بوجود الرب.» قالت الأم

قال مايكل : « تلك خطيئة كبيرة يا أماه، أنا آسف لما سوف أفعله».

قام مايكل بإحضار سكينة كبيرة من المطبخ وطعن أمه بها عدة طعنات في بطنها ووجها ثم قام بذبحها ببشاعة شديدة وفصل رأسها عن جسدها..

مايكل كان يزعم أنه يسمع صوتًا غريبًا يأمره بضرورة قتل أمه؛ لتطهيرها وتخلصيها من الشيطان الذي يسكن جسدها..

أما الحادثة الثالثة فكانت في موريتانيا عندما قام رجل موريتاني بقتل عائلته بأكملها المكونة من والدته وزوجته وابنه الرضيع..



لأن صوتًا ما أخبره أن نهاية العالم القادمة، وهو لم يرد أن تعيش عائلته أهوال يوم القيامة فقرر قتلهم حتى ينجوا من تلك الأهوال..

عندما سأله المحققون لماذا لم يقتل نفسه بدوره بعدما تخلص من أهله رد عليهم بأن الصوت لم يأمره بقتل نفسه..

في النهاية هناك العديد من تلك الحوادث التي قد نسب المحرض فيها إلى قوى غيبية خارقة قد لا تسعي مئات الصحف لإبرازها بالشكل المطلوب...لكن تلك الجرائم حدثت وتحدث الآن وستحدث طالما لم نستطع أن نعثر على المحرض الرئيسي علي تلك الجرائم الشنيعة..

هناك ملحوظة أخيرة أود أن أذكرها بأن أغلب تلك الجرائم عندما تم الكشف على الصحة النفسية لمرتكبيها وجد أغلبهم في أتم حالاته الصحية والنفسية والبدنية!!

لذلك وإلى الآن..لم يستطع أحد..حل لغز الأصوات التي تأتي من السماء!!.

***



الورقة الثانية والعشرين

(حقيقة كاذبة)

(٢٢)

وقفت أمام مدافن عائلتي، الشمس تصب جام غضبها علي...

مارق كافر ملحد زنديق..خارج عن رحمة الله..

أذرف الدموع بصمت، أبكي بحرقة ولكن بصمت.. من يرقد أمامي..أبي وأمي وأخي.. لقد ذقت معهم الأمرين.. لكن أين هم الآن، وأين أنا؟.

أقف فوق رؤوسهم ناعيًا إياهم..هم تحت قدماي..

أنا حي أرزق، وهم أموات يأكل العفن والدود أجسادهم..

شلال ذكريات ينهمر أمام عيني..لا ذكرى واحدة طيبة فيهم..

طغت السيئة على الحسنة فمحقَتْها ولم يتبق لها أثر.. ولكني رغم هذا بكيت..

سمعت صوت الآخر يرن في أذني: أأنت من تبكي عليهم أيها الأحمق، أنت المنتصر الآن..أنت واقفًا على قدميك وهم أموات..

علا صوت نحيبي ووضعت كفاي على أذني محاولًا منع صوته من الوصول إليهما؛ لأجد صوت قهقهته في عقلي مباشرة وهو يقول بخبثٍ: لدي لك مفاجأة ضخمة..

لم أعد أتمالك نفسي..أخذت أنظر حولي كالمجنون بلا هدف..وصوت الآخر يقول ولكن بشيءٍ من الصراخ:



حسنًا يا صديقي، سأقول لك كل ما لدي..أنت لا تعرف بالطبع...فأنت لم تكن هناك وقتها..لكن اعلم أن ما سوف أقصه عليك هو الحقيقة، الحقيقة المجردة فقط يا صديقي..

سيكون الأمر قاسيًا قليلًا وقد..قد يغير حياتك..أي أنني لست متأكدًا..

بدا مستمتعًا بكل حرف يقوله لي..وقفت في مكاني منتظرًا أن يكمل حديثه ولم يخيب ظني فقال: أجل يا صديقي، أنت من فعلتها..أنت من قتلت عائلتك بدم بارد..

ليتك رأيت نفسك وأنت تطفئ نور حياتهم..لقد كنت سعيدًا بحق..

جفت دموعي فجأة وكأنها لم تكن..راحة نفسية بدأت تتسلل إليَّ في الخفاء.. رغم أنني كنت أعلم أن الآخر يمارس حيلة من حيله الذهنية علي..

لكنني توقفت مكاني وتحفزت كل عضلات جسدي بينما يقول هو: رحلة الجامعة..أجل أنت لم تذهب إلى أي رحلة..لم تكن هناك واحدة من الأصل يا صديقي..

انحبست أنفاسي وسمعت دوي دقات قلبي يهز بدني وهو يتابع: لقد أوهمت عائلتك بأنك سوف تذهب في تلك الرحلة مع أصدقاء الجامعة..لكن ليست تلك المفاجأة الوحيدة، القادم سيفاجئك أكثر..

صمت للحظات وقد انتصبت قامتي وأرهفت سمعي وعيناي تدوران في محجريهما بسرعة، ولم آبه بنظرات زوار المقابر القلائل من حولي، في حين كان الآخر في قمة الاستمتاع، وأقسم أنني قد شعرت بأنفاسه ترتطم بوجهي وهو يقول: لا يوجد لديك صديق يدعى حازم، أنت لا أصدقاء لك من الأساس..أنا فقط يا صديقي..

لم أشعر بالدهشة، لم أصدق ولم أكذب ما قاله..خواء..

أنا لم أعد أشعر بشيء..بشريتي وإنسانيتي ينسلخان عني تدريجيًا..



عاد صوته يقول بلامبالاة: المهم..

إنك بعد أن نجحت بإقناع والدك بطريقةٍ ما بأن يسمح لك بالسفر..ذهبت أنت إلى غرفتك؛ كي تبدأ في إعداد حقيبتك التي ستسافر بها..

لكنك لم تذهب مباشرة إلى غرفتك بل عرجت إلى المطبخ أولًا حيث أمك كانت تعد شايًا لها ولأبيك..فأنت تعلم عادة أبيك الغريبة المتمثلة في تفضيله شرب كوبًا من القهوة يليه كوب شاي مباشرة لذلك اخترت أنت التوقيت الذي يشرب فيه الشاي حتى تكلمه.

المهم أنك قمت بمغافلة أمك عندما كانت تعد الشاي ووضعت حبوب مخدرة سريعة الذوبان فيه.. صدقني يا أمجد يا صديقي..أنا حتى الآن لا أعلم كيف ومتي ومن أين قد حصلت علي هذه الحبوب، رغم إنني أستطيع إحصاء عدد أنفاسك ، لكن في هذه المرَّة أنت هزمتني..

لكن هذا ليس موضوعنا الآن..

فبعد أن وضعت أنت الحبوب المخدرة في المشروب لأبيك وأمك عرجت على غرفتك أخيرًا..

ووجدت أخاك نائمًا.. فأمسكت بالوسادة ثم جثوت على صدره شالًا حركته معتمدا على ثقل جسدك..و ظللت تخنقه حتى تأكدت من موته..

حاول أن يقاومك وعلى الرغم من قوة أخيك البدنية لكنك كنت أقوى منه تلك اللحظة..الانتقام كان يجعلك وحشًا..

انتقمت منه لأجل حبيبتك التي سرقها منك..

خيرًا فعلت على أي حال..



خرجت لتجد أبيك وأمك قد فقدوا الوعي تمامًا بعد احتسائهما لرشفات قليلة من الشاي..لقد كان مخدر قوي بحق..من أي تاجر مُخدرات قد حصلت عليه أيها الفتي..

ها ها ها ها..

ثم بعد ذلك أحكمت إغلاق كل منافذ الشقة ثم ذهبت إلى المطبخ وعبثت قليلًا في أسطوانة الغاز، وجعلتها تسرب غازها القاتل..

حتى يبدو الحادث كقضاء وقدر..خصوصًا أنك بطريقةٍ ما لا أعلمها أيضًا قد عرفت أن عمك سيتصل بأبيك مباشرة بعد ذهابك..وأن أباك سيخبره أنك ذاهب إلى رحلة..

في هذا اليوم أعترف أنك قد تغلبت علي لا أعرف كيف فعلت كل هذا..لكنك كنت شيطان يومها..

المهم أنك أخذت حقيبتك التي كانت معدة سلفًا، وخرجت من الشقة بهدوءٍ وبالٍ مطمئن كأنك لم تفعل شيئًا يذكر..

لأنك كنت متأكدًا أنهم سيختنقون خلال سويعات قليلة..

أكملت مخططك المحكم باختيارك لمخدر تذهب آثاره من الدماء بعد ساعة بالتمام والكمال..

الغريب في الأمر..أنك اختفيت تمامًا وعدت بعد انقضاء خمسة أيام وهي مدة رحلتك المزعومة إلى الفردوس..لتتفاجئ بموت عائلتك، وتصدم وتبكي..وها أنت الآن تقف على قبورهم باكيًا إياهم..

بعد أن سلبتهم حيواتهم بدم بارد..

صدقني..ما فعلته أنت في تلك الليلة لا يستطيع الشيطان نفسه أن يفعله في سنوات..



لقد ضربت ضربتك في مقتل أنا فخور بك حقًا.

الآن أنت رجل مقاتل، والأهم أنك حر..

صمت، لا أستطيع التفكير فيما قاله..

هل هو محق..

هل أنا من قتلت عائلتي..مستحيل..لماذا لآن..لماذا بتلك الطريقة..

أنا لم أحضر مخدر..ولم أضعه في الشاي لأبي أو لأمي..

شعرت بأن هناك حيلة ما في الأمر..وازدادت حيرتي لكن جزء مني يشعر أنه محق..

لكن فكرة أن أقتل عائلتي هذه مستحيلة تمامًا، أنا لا أستطيع إيذاء ذبابة فما بالك بإزهاق أرواح ثلاثة أشخاص..

وهؤلاء الثلاثة هم أبي وأمي وأخي..

هذا عمل شيطان مريد..وأنا لن ولم أكن شيطانًا قط..

عاد صوت الآخر بحيرةٍ شديدة شعرت بها يقول:

لكن يا صديقي هناك سؤال يحيرني لم أستطع حتى أنا الإجابة عليه...وهو أعقد من كل الأسئلة السابقة التي لم أجد لها إجابة..

طوال الخمس أيام التي كان من المفترض أن تكون فيهم في رحلةِ الجامعة..

أين كنت طوال تلك الفترة يا أمجد؟..

حتى أنا لا أستطيع أن أعرف أين كنت يا أمجد؟.

لقد اختفيت تمامًا ولم أستطع الوصول إليك..

سأعترف لك اعترافًا صغيرًا، بعد كل ما رأيته منك يا صديقي..

من المفترض أن تخاف مني يا صديقي..

لكن الآن أنا من أخاف منك..

***

- وهل تستحق الحياة بأن تَقتل وتُقتل من أجلها؟..

***





الورقة الثالثة والعشرين

(الشيطان قد يخاف أحياناً)

(٢٣)

ركضت كما لم أركض في حياتي كلها من قبل، عقلي مشتعل..

هل قتلت عائلتي حقًا..هل لدي الجرأة لأفعل هذا..؟.

هل حققت ما أصبو إليه بانتقامي منهم بتلك الطريقة؟

هل خنقت أخي بيداي العاريتان فعلًا؟.

هل علمت أن أبي وأمي سيموتان مختنقان بينما كنت أنا مرتاح البال هانئة؟؟

لماذا أهتم الآن..بل لماذا أسأل حتى..لقد انتهى الأمر وهذا ما يهمني..بيدي أو بيد غيري..لقد انتهى ذلك الكابوس وانزاح ثُقله الجاثم على صدري منذ مولدي؟؟

إنهم لم يهتموا بي ولو لمرةٍ واحدة طوال حياتهم البائسة، لم يقوموا برعايتي، لم يلبوا لي طلباتي..أبسطها على الأقل لم يلبوها لي..

ظل السؤال يلح على عقلي بضراوةٍ..هل أنا من قتلتهم فعلًا..؟

كما قال الآخر، أم أن الآخر يكذب..

أم أن الآخر هذا مجرد شيطان رجيم، يسعى للإيقاع بي في براثنه.. لم أجد إجابة وظللت أركض..

ضحكات الناس وصراخهم وسبابهم لا يوقفني.. حتى صوت الآخر وضحكاته الساخرة لا أهتم بها..



أرى أبي وأمي وأخي على مدى بصري يتهامسون فيما بينهم ويضحكون بينما يشيرون إلي.

حاولت أن أشيح بنظري بعيدًا عنهم، لكني أراهم مجددًا في كل مكان من حولي..

كل الوجوه قد أصبحت وجوههم..

أسمع أصواتهم يتوعدوني بالقتل..

لقد قتلوني مسبقًا..

ومن ماذا سوف يخاف الميت؟؟..

ماذا سيضير الشاه سلخها بعد ذبحها؟؟..

ماذا بقي لدي لكي أخسره، سأواجههم..

لا مفر منهم، لكنني لن أفر..

أنا قاتل..

أنا قاتل ولكنِّي قبل أن أصبح قاتل فأنا مقتول..

***

أقف علي سور شرفةٍ ما..

ليس منزلي..ولا أعرف كيف وصلت إلى هنا..

الارتفاع شاهق..

أفرد ذراعي على امتداديهما..

أنا لاعب سيرك ماهر..أمشي على الحبال بأطراف أصابعي..



أرى البشر من أسفلي كائنات مجهرية..

كلًا يسير إلى حتفه..

أنهم أغبياء..

مثلي تمامًا..

لكني لاعب سيرك..

وماهر..

هبّات الرياح تود أن تدفعني إلى الأسفل..كي تراني أسقط..

من قال أنني أريد السقوط..

رغم ذلك شعرت بالرعب..

أنا لاعب سيرك ماهر..وخائف.

سمعت صوت الآخر يأتيني من مكانٍ ما حولي لم أستطع تحديده بسبب الرياح الشديدة التي تهب، كان يتحدث بنشوةٍ غريبة، أشعر بالشهوة في صوته: هيا يا صديقي، لن تشعر بأي شيء..هي قفزة..فقط مجرد قفزة بعدها ستحوز الانتصار الأكبر، وستتحرر من هذا الجسد الفاني..وستكون مثلي..

قلت بصوتٍ عالٍ محاولًا التغلب على الرياح: وكيف كنت مثلي؟

جاءني صوت الآخر حزين: كنت مثلك ذات يوم لكنني قد حررت نفسي..وها أنا الآن نبيًا ورسول أُخَلِّص البشر الأنقياء مثلك من الألم..

غمغمت بسخريةٍ: نبيًا مُلحد.

رد علي بغضب: أنت لا تصدق لأنك لم تجرب، يجب أن تجرب الأمر..



هبت الرياح بعنفٍ أشد فكدت أن أسقط لكنني صمدت وتمالكت نفسي.. وبأنفاسٍ لاهثة استندت على السور حتى جلست عليه، وجسدي كله متيبس من الخوف فازداد صوت الآخر غضبًا وهو يقول: يجب أن تحدد مصيرك ويجب أن تتحكم في حياتك، لقد قطعت الآن نصف المشوار لا تتباطأ ولا تكن جبانًا

ذرات الهواء الباردة ترتطم بوجهي، أصرخ بكل قوتي: لا أريد أن أموت أيها الشيطان..

أشعر بالدوار يجتاح رأسي..يدًا خفية تدفعني للسقوط من هذا الارتفاع الشاهق.. أحاول الحفاظ على توازني وأنا أجهش بالبكاء..والآخر يقول: أنت لاعب سيرك ماهر، لقد حافظت على توازنك لنصف ساعةٍ كاملة بدون خوف..

أنت سفاح عتيد الإجرام..قتلت ثلاث أفراد بمنتهى الذكاء..

أنت تمتلك مواهب لم أستطع اكتشافها حتى الآن..لدرجة أنك اختفيت تمامًا لمدة خمس أيام ولم أستطع الوصول إليك.

والآن تخاف من مجرد قفزة بسيطة..عدة ثوان ستستغرقها سابحًا في الهواء..ثم بووووم..

ارتطام.

وسينتهي كل شيء كما بدأ..

تبدأ حياتك بنشوةٍ لحظية، وستنتهي بنشوةٍ لحظية لن تشعر أبدًا بها إلا إذا قفزت..

الآن تخاف من مجرد قفزة بسيطة، وترفض النبوة..

سينتهي الألم.

ستجف الدموع.



ستمحى الذكريات السيئة.

ستصبح طيفًا أبيضًا شفافًا، لن تموت كافرًا. فلا تخف..

أنت كنت تريد تحقيق انتقامك ممن ظلمك وأساء لك وقد حققته ستتفهم السماء هذا.. الإله رحيم، فلا تقنط وترفض رحمته..

أستمع إلى الكلمات وأنا مشدوه، منوم..

جسدي ينتفض، وعيناي تذرفان الدموع وكأن البكاء قد خُلق لهما..

أحاول السيطرة على ارتجافة جسدي، وتنظيم تنفسي لكي أهدأ..

أخفض قدمي اليمنى ببطءٍ لأنزلها على الأرض، أتبعها باليسري، فأستقر واقفًا على قدماي..

رغم ارتجافتي قلت بصوتٍ قوي واثق:

لا أريد الموت، ليس اليوم على الأقل..

ألهث بشدة..

أشعر بقلبي سيثب من بين ضلوعه..

ولا أسمع سوى صوت الآخر مؤنبًا إياي: أنت جبان.. وقاتل..

أنت شيطان..

أنت لا شيء..

***



الورقة الرابعة والعشرين

(محاولة أخيرة)

(٢٤)

~الجلسة الثانية~

أجلس في عيادة الطبيب النفسي ذات الجدران البيضاء والديكورات الحديثة الهادئة، موسيقى رائعة تنساب عبر السماعات الدقيقة الموزعة بإتقان..كما في غرفة الطبيب..

أشعر أن وجوه المرضى، إذا صح أن نطلق عليهم هذا اللقب لم تتغير قط..

ذلك الرجل السمين الذي يرتدي بذلة سهرة غالية تحمل شعار أحد بيوت الأزياء العالمية، وأيضًا تلك السيدة التي ترتدي ملابس مخصصة للسهرة أيضا!!.

تكشف عن ساقيها إلى ما فوق ركبتها، وكذلك عن جزء كبير من صدرها.. وتلك المُمرضة اللعينة تنظر إلى بنفس النظرة اللعوب إياها..

أحاول السيطرة على أعصابي فلا أفلح، تهتز قدمي اليمنى بسرعةٍ كبيرة بطريقةٍ لا إرادة لي فيها..بينما أحدق في الأرض متحاشيًا التواصل البصري مع أي شخص حولي..

أشعر بنظرات الممرضة اللعوب مسلطة علي بينما صوت الآخر يصدح في أذني:

تلك الممرضة جميلة فعلًا، إنها تحدق بك منذ وصولك إلى هنا أيها الوسيم..ثم أنك مُتعب وقد قاسيت طوال الفترة الماضية، وأعتقد أنك تستحق ليلة دافئة في فراشك لتسترد بها عافيتك..



يرتفع بصري تلقائيًا لأصطدم بنظرات الممرضة الوقحة التي كانت مسلطة علي فعلًا والآخر يتابع قائلًا: أرأيت أنها معجبة بك، أنا لا أنصحك بتفويت تلك الفرصة التي قلما ما تتوفر يا صديقي أمجد، تلك المرأة لن تمانع أن تشاركك الفراش لعدة ساعات..

صمت للحظات ثم عاد يقول بخبثٍ: إذا أحببت يمكنني أنا أن أقنعها بذلك.. الأمر ليس صعبًا ثم أن...

لم أتحمل سماع كلمة أخرى..

نفضت رأسي بقوةٍ محاولًا طرد الصوت من رأسي، وبينما أنا أفعل ذلك لمحت الممرضة تنظر لي نظرة شهوانية عجيبة للغاية، لا أعتقد أن هناك أي عاهرة قادرة على الإتيان بتلك النظرة..

نظرة فيها من الشيطنة أكثر من الشهوة..نظرة شيطانية قحة.

بعدت نظري وأخرجت هاتفي الجوال من جيبي متصنعًا الانشغال به..وللعجب لم يحاول الآخر أن يستفزني..وكأنه قد نال مراده مني..

مرت علي دقائق الانتظار طويلة للغاية..مرت كدهر.

بدأ توتري يزداد، شعرت برغبةٍ مُلحة في أن أقوم وأترك العيادة السخيفة..

صوت الجرس..لثاني مرة يرن عندما أفكر في مغادرة العيادة وكأنه يرفض رحيلي..

أو كأنه يقرأ أفكاري..ليس الجرس بالطبع ولكن من يدقه..

هرولت الممرضة اللعوب إلى غرفة الطبيب دقائق أخرى تمر علي وأنا أنظر نحو الباب الذي فُتح وخرج منه المريض..



الذي لو لم تخذلني ذاكرتي فهو نفس المريض الذي كان في الغرفة قبلي في أول جلسة حضرتها هنا!!.

نظرت حولي..نفس الأشخاص، يرتدون نفس الملابس، يجلسون بنفس الترتيب..

نادت الممرضة علي أسمي فنهضت أقدم قدماً وأؤخر الأخرى..

وقفت عند باب غرفة الطبيب فأفسحت لي الممرضة التي لم تعد لعوب في تلك اللحظة مساحة كافية لكي أمر منها باحترامي..

لكنني تحاشيت النظر إليها..

دلفت إلى الغرفة فأغلقت هي الباب خلفي بسرعة وكأنها تخاف أن اهرب من طبيبها..

حياني الطبيب الوسيم المهذب بابتسامة ودوة؛ عجزت أن أردها له؛ لأن عضلات وجهي لا تريد أن تنبسط، تريد أن تظل منقبضة متخشبة متيبسة..

كأنني أرتدي قناع جامد لا يلين..

قال لي الطبيب بلهجة هادئة وقورة كعادته: كيف حالك يا أمجد، أتعشم أن الأمور قد ألت بالنسبة إليك لوضع أفضل؟..

رددت عليه وقد خرجت الكلمات من حلقي بصعوبة: لست بخير علي الإطلاق، أنا مدمر تماماً أيها الطبيب..حالتي أصبحت أسوأ..

بدا اهتمام مبالغ فيه علي وجه الطبيب فدعاني للنهوض من المقعد الذي أمام المكتب مباشرة والتمدد والاسترخاء علي الشيزلونج..



نهضت وجلست على الشيزلونج بينما أشعل هو سيجارة وجاء ثم جلس على المقعد المواجه لي وهو ينفث دخانه في وجهي وهو يقول: احك لي كل شيء..التفاصيل مهمة..لا تكن بخيلًا..

قالها باستهزاء..تجاهلته وانطلقت أحكي له ما حدث لأهلي وكلام الآخر عن مسئوليتي عن قتل أهلي..ترددت كثيرًا وأنا أحكي الجزء الأخير من قصتي، خوفًا من أن يبلغ عني الشرطة..ويقبض علي في جريمة لم أفكر حتى في ارتكابها هذا أصلًا إن كانت جريمة من الأساس..

وطبعًا أغفلت الجزء الذي حكي فيه الآخر عن الطريقة الخيالية بالطبع التي استعملتها كي أقتل أهلي..

نظر لي الطبيب طويلًا وقد أنهى سيجارته الأولى، وأشعل الثانية وبدا أنه لا يستمتع بالتدخين، بقدر ما يستمتع باستنشاق الدخان الناتج عن احتراق تبغ السيجارة..

ثم قال لي بهدوءٍ بعد فترة طويلة من الصمت وهو ينظر في عيناي: أريد أن أسألك سؤالًا بسيطًا للغاية..

قلت له : تفضل بالطبع..

مال ناحيتي وهو يقول بصوتٍ قريب للهمس وكأنه يخبرني سرًا ما: باعتقادك بعد كل تلك التجارب التي خضتها معه، برأيك ما هو الآخر؟. أو من هو؟

نظرت له في عيناه مباشرة وقلت له بسرعة: الآخرون..

تعجب من صيغة الجمع وكرر بحيرة ممزوجة بالارتباك: الآخرون؟

أومأت برأسي موافقًا وأنا أتمعن في تفاصيل وجهه وردود أفعاله التي بدت لي غريبة: نعم، إنه ليس واحدًا منفردًا..إنهم كثيرون..قبيلة أو عشيرة أو حتى عالم كامل لا أحد يدري..



تلفت حولي ثم قلت بحزم: أنا أشعر بهذا..

صمت الطبيب وكاد أن يرد إلَّا أنني عاجلته قائلًا: قل لي أيها الطبيب، ألم تسمع من قبل طوال حياتك أي صوت يتحدث معك؟

اختلجت عضلات وجه الطبيب، وتغيرت ملامحه..وبدأت حبات صغيرة من العرق تنبت علي جبهته العريضة وهو يقول بصوتٍ هادئ وان بدا لي مُرتبكًا خائفًا: لا أعتقد أني قد مررت بمثل تلك التجربة من قبل يا أمجد..

وقبل أن أنطق مستخدمًا نفس أسلوبي عاجلني هو بسؤاله قائلًا: عمرك تسعة عشر عامًا..

منذ الخامسة تقريبًا وأنت تسمع الآخر..العجيب أنك لم تره من قبل يا أمجد..

طوال كل تلك السنوات لم يحاول الآخر أن يظهر نفسه لك...

الأمر مريب حقًا يا صديقي..

***



الورقة الخامسة والعشرون

(فخ ما قبل النهاية)

(٢٥)

طفلًا صغيرًا عمره 6 سنوات، معاقب بحبسه وحيدًا بدون طعام أو شراب في غرفة مساحتها متران طولًا ومثلهما عرضًا..

الغرفة باردة وشبه مظلمة..ولا مصدر تهوية فيها..

كنت أنا هذا الطفل..وكان الضوء الشحيح الصادر من ذلك المصباح أشعر به يجردني من روحي.. ويقتلني..

كنت أود الصراخ ولكني خائف...تعلمت أنه إذا صرخت سيزداد عقابي..

لذلك لم أصرخ..

كدت أن أصرخ عندما رأيته..

لم يكن كيان مادي واضح، بل مجرد ظل أسود، شيء شبيه بالظلال..

يتحرك على الجدران بسرعةٍ..بالكاد قد لمحته من فرط سرعته..

ظللت أصرخ وصوتي لا يغادر حلقي، فيبقى داخلي ويصيبني بالصمم من شدته..

ارتجفت وبكيت ولعنت أبي وأمي وأخي..

صمت..واستسلمت..وذلك الظل يتحرك بحريةٍ أمامي..

توقف في الهواء للحظات بعد أن تخلى عن الجدار..



واندفع باتجاهي فجأة ولم أشعر بشيء بعدها..

بقى الطبيب صامتًا بدون أن يبدي أي ردة فعل وهو يستمع إلي بتركيز وانتباه شديدين وان كانت الدهشة تزور ملامح وجهه من حين لآخر..

انتهيت من قصتي فقام هو بتدوين بعض الملاحظات في مذكرته الصغيرة، ثم التفت نحوي بعد أن انتهى من التدوين قائلًا بلهجةٍ منتصرة: الضلالات..

سألت بدهشة: ضلالات؟.

قال بسرعة: مريض الضلالات يرى أشخاص لا وجود لها، يسمع أصوات لا يسمعها سواه فقط..يؤمن بمعلومات وأشياء لا يؤمن بها سواه..كأن تؤمن مثلًا أنك إله أو أنك نبي أو قائد عسكري عظيم..فتلك ضلالة أنت وحدك تعيش فيها وتؤمن بها..

نظرت له بحنقٍ فتابع هو: معاملة أهلك السيئة لك في صغرك ونشأتك الخاطئة جعلتك تخلق شخصية الآخر، تلك لتكون متنفسًا لأفكارك السوداء ضد أهلك..

وعندما ماتت عائلتك قام عقلك بجعل الآخر يبرر لك موت أسرتك بأنهم قد أساءوا لك في صغرك حتى لا تشعر بالذنب أو تلوم نفسك رغم انه لا دخل لك بموتهم..

لم اقتنع بكلامه، ولكنني وافقته مجبرًا، فعاد يقول بحماسٍ شديد: هناك علاج فعال لحالتك تلك..

ثم صمت قليلًا وعاد يقول: لكنك لابد أن تساعدني حتى أستطيع علاجك..

اقترب مني وأمسك يدي فأجفلت منه فتابع قائلًا: لا وجود للآخرين، هذا خيال.. خط دفاعي أخير ابتكره عقلك الباطن كي يحفظك من الانهيار العصبي..يجب أن تعلم أنك شجاع..وان أهلك مخطئين..

ثم أنهم قد لاقوا جزائهم بطريقةٍ أو بأخرى..



لم تعجبني طريقة إلقائه للكلمة الأخيرة، لكنه دعاني للنهوض والجلوس مواجها لمكتبه، بينما جلس هو على مقعده الكبير ثم فتح درج مكتبه وأخرج منها علبة حمراء اللون قائلًا: هذا دواء أمريكي جديد مخصص لمثل حالتك تلك..انه يقوم بفصل خط الدفاع الذي أنتجه عقلك وتحْييده تمامًا، لن تشعر بأي شيء غريب على الإطلاق..

ثم ابتسم وتابع: صدقني هذا العلاج سيختصر الوقت وسيختصر كل شيء تمامًا كما نتمنى، لكن أرجوك التزم بالجرعة قرصان فقط يوميًا قبل النوم..احذر الجرعة الزائدة ستكون قاتلة..

سنلتقي بعد أسبوعان من الآن يا بطل لنرى نتيجة دوائنا الجديد..

أخذت علبة الدواء منه وسألته على ثمنها، لكنه قال إنها للتجربة ليس إلَّا، ويمكن أن أعتبرها كهديةٍ منه لي!!.

لم أعيره هو أو دوائه أي انتباه ولم أكلف نفسي حتى برد تحيته فلم يكترث هو الآخر وضغط زر استدعاء العاهرة الشيطانية التي بالخارج لتدخل سريعًا وكأنها كانت واقفة عند باب الغرفة منذ الأزل..

ألقيت عليها نظرة سريعة أتفحصها من أخمص قدميها حتى رأسها والآخر يقول لي بفجاجة: هيا يا أمجد، إنها جميلة حقًا..سأدبر لك معها موعدًا..



الورقة الآخيرة

(نهاية اللعبة)

جلست على سريري ممسكًا بعلبة الدواء وأتفحصها بينما أرهف سمعي منتظرًا أن يقتحمني الآخر كعادته في أي وقت بدون مقدمات..

لكن لا صوت..

لا آخر حتى الآن..

وهذا أكثر ما يقلقني..

فتحت علبة الدواء تناولت الحبتان جرعتي التي حددها لي الطبيب ودفعتهما إلى حلقي دفعًا بجرعة ماء..

لحظات مرت..

لا شيء..

لكن..

جفناي يتثاقلان..أصبح وزنهما لا يطاق..وكأنه أطنان..

صوت الآخر يأتيني من بعيد..يأتيني ضعيفًا منكسرًا حزينًا:

هذا ليس الحل يا أمجد، نحن واحد لا اختلاف بيننا..

لم أسمع بقية ما قاله بعدها، فقد تركت له عالمي ولو مؤقتًا..

***



استيقظت في اليوم التالي مُنتبهًا في قمة تركيزي ونشاطي وكأني قد نمت دهرًا.. ذهني صافٍ للغاية لكني مصاب بصداع نصفي قوي كفيل بقتل فيل ضخم..

نهضت وأسندت ظهري إلى الفراش بعد أن عدلت وسادتي لتصبح خلفي.. وأرهفت السمع منتظرًا صوت الآخر..

لحظات مرت..لتأتي الدقائق..نصف ساعة تمر وأنا جالس منتظر الصوت..

لكن لا صوت على الإطلاق..

هل هذه إحدى ألعاب الآخر الذهنية؟..

أم هل أنا مريض فعلًا وهذا الدواء سيعالجني؟..

أمضيت باقي اليوم كله في قلقٍ أنتظر في أي لحظة صوت الآخر لكنه خذلني ولم يزرني قط طوال هذا اليوم..وأصبح هذا اليوم هو أول يوم منذ زمنًا طويلًا للغاية أمضيه دون وجود الآخر في حياتي..

انتهى اليوم وشعرت بلذة الانتصار..أنا مريض وسأعالج..فلم يسبق أن افترق عني الآخر إلا مرة واحدة لم يكررها منذ زمن..

بدأ القلق يتسلل إلي مرة أخرى لكن أملي كان أقوى..

أملي بأن أصبح إنسانًا طبيعيًا كما بقية البشر بدون أن تطاردني همسات وهمزات الآخر..

أويت إلى فراشي متلهفًا لجرعة الدواء الثانية، وبعد أن جرعتها..نمت نومًا عميقًا لم أذقه طوال حياتي..

***



"هيًّا استيقظ أيها الكسول لقد تأخر الوقت."

سمعت تلك العبارة بصوت الآخر فحاولت فتح عيناي لكن عليهما كانت غشاوة بيضاء ثقيلة..

سحابة بيضاء حليبية، تجعل الرؤية دربًا من دروب المستحيل..

لكنني في غمرةِ عجزي استطعت تمييز ذلك الشخص الجالس على طرف سريري..

كان أنا..

أنا ممسكًا بعلبة الدواء الأمريكية الجديدة التي أعطاني إياها الطبيب..

كان يمدها لي..

نظرت نحوه ليس بخوفٍ ولكن بدهشة..

هذا وجهي وتلك ملامحي وهاتان عيناي وهذا شعري..

وتلك منامتي التي نمت فيها بالأمس..وأنا أرتديها الآن..

وهو يرتديها أيضًا..

هو الآخر..

هو أنا..

قام الآخر الذي هو أنا أو شبيهي بالأحري، بالابتسام لي ابتسامةٍ عذبة مشجعة وهو يعطيني علبة الدواء قائلًا بهمسِه المعتاد ولكن بطريقةٍ أوضح: أعتقد أنك ستفعلها الآن يا صديقي..

كيف لم أستطع أن أُميز ذلك الصوت طوال تلك السنوات..



إنه صوتي..

أشار للأوراق التي بجواري وهو مازال يبتسم لي ابتسامة صافية..لم يبد لي شريرًا على الإطلاق..

برغم غرابة موقفي، لم أمتلك سوى مبادلته الابتسام ثم التقطت منه علبة الدواء..

***

خبر في صفحة الحوادث التابعة لإحدى الجرائد الرسمية المصرية

(انتحار شاب في أوائل العقد الثاني من عمره بواسطة جرعة زائدة من إحدى الأدوية المضادة للإكتئاب التي كان يتناولها..وقد عُثر على الشاب راقدًا على فراشه مفارقًا الحياة منذ عدة أيام..وبجوارهِ علبة الدواء فارغة تمامًا أيضًا ووجد بجانبه عدة أوراق تُقدر التحقيقات الأولية بأنها مذكرات له..وقد وجد بجانبه أيضًا ورقة صغيرة للغاية مكتوب عليها بخط رديئ ..لقد فعلتها أخيرًا)

***

(بلا نهاية)

نهض الضابط كريم من على مقعده وهو يذرع الغرفة مجيئًا وذهابًا في عصبيةٍ وتوتر واضحين..

كان يلتفت حوله من حين لآخر باحثًا بعينيه عن شيءٍ ما، أو هكذا بدا.

وبعد لحظات يتصنع الانشغال فجأة بالنظر إلى الفراغ وكأنه يفكر في أمر ما..

تذكر شيئًا..

فهرول إلى مكتبه مرَّة أخرى عابثًا بأوراق مذكرات أمجد التي عليه حتى أخرج ورقةٍ ما بعينها..



تلك الورقة كان مسجل عليها رقم عيادة الطبيب النفسي الشاب الذي كان أمجد يعالَج عنده..

تذكر أنه كان قد رآها أثناء محاولته لترتيب مذكرات أمجد، ولكنه لم يعرها انتباهًا وقتها..

ولكنها كانت مهمة الآن.. فلقد بدأت الأمور تتضح أمامه رويدًا رويدًا..

شعر أنه قد اقترب من الحل..اقترب من الخلاص.. فقط يجب أن يعرف أولًا بعض المعلومات من ذلك الطبيب..

أخرج هاتفه واتصل بالرقم المدون في الورقة..

لحظات مرت حتى استطاع سماع الرنين على الناحية الأخرى..

افتتح هو الحديث وصدره يعلو ويهبط بسرعةٍ من الانفعال قائلًا: مرحبًا، عيادة الطبيب النفسي (محمود شاكر)؟

ردَّ عليه صوت أنثوي ناعم بلهجةٍ رسمية: نعم، تلك كانت عيادة الدكتور (محمود شاكر).

ازداد التوتر في نبرة صوت كريم وهو يقول: كانت، هل ترك الدكتور (محمود) عيادته قريبًا؟.

شعر كريم بطنين حاد في أذنيه، وصداع شديد في رأسه، التفت خلفه فجأة بدون مبرر في حين قالت السيدة بنفس اللهجة الرسمية وإن شابتها لمحة سخرية: لقد انتحر الدكتور(محمود) منذ فترة طويلة للغاية، لقد جن المسكين تمامًا في آخر أيامه...

كان يتوهم أن هناك صوت يحدثه ويأمره بأشياء غريبة..

تخيل يا أستاذ...طبيب نفسية يمرض نفسيًا وينتحر؟.



قالتها ثم انفجرت ضاحكة بطريقة غريبة.

قال كريم وقد بدأ يفقد أعصابه وغضبه يزداد ويظهر جليًا في صوته: تكلمي بطريقةٍ جيدة يا امرأة ، أنتِ تتحدثين مع ضابط شرطة يا روح والدتك، وليس أحد أصدقائك في الشارع.

لم يبدُ على السيدة أنها تأثرت من اسطوانته أو حتى أنه ظهر أي خوف في صوتها فقالت: أنا أتكلم بطريقةٍ جيدة يا حضرة الضابط الدكتور محمود متوفي منذ سنتين أو يزيد، أنا لم أقل شيئًا يدعو للغضب.

ابتلع كريم لعابه بصعوبةٍ، وقد أحسَّ أن حلقه قد أصبح صحراء متشققة وقال:

انتحر منذ سنتين؟

كيف هذا؟

أحد أقربائي ظل يزوره قبل شهر من اليوم للعلاج لديه، فكيف تقولي أنه ميت منذ سنتان يا امرأة.؟

تغير صوت السيدة ليصبح أشرس وهي تقول بلهجةٍ ساخرة لاذعة: أحد أقربائك يا مُهرج كان يزوره قبل شهر وهو ميت منذ سنتان..لك أن تعلم أن دكتور محمود قد توقف عن ممارسة التطبيب النفسي منذ أكثر من خمسة سنوات قبل أن يمرض، وأنت تقول أنه كان حيًا، ويعالج أحد أقربائك من شهر..

منذ متى ورجال الشرطة يتعاطون المُخدرات؟

حكومة وشرطة آخر زمن..

وأنهت المكالمة مغلقة الخط في وجهه..

أخذ يدور ويتلفت حوله كالمجنون وهو يهمس : لا.



لا.

هذا غير ممكن، هذا مستحيل

لا.

لا

لا

ثم حاول ان يعاود الاتصال مرة أخري برقم العيادة..

لكنه سمع رسالة مسجلة تفيد بأن الرقم المطلوب غير موجود بالخدمة!..

أعاد الاتصال مرة وأخرى..

ولكن النتيجة واحدة..

انهار كريم باكيًا على أقرب مقعد إليه..فهو قد توصل الآن إلى الحقيقة..

عرف الآن كيف ستكون نهايته..

والآن..قد مات آخر حل لديه..

كان كريم يعول على حل تلك القضية حتى يجد تفسير لما يحدث له..

لذلك قد سعى بكل الطرق الممكنة والمستحيلة بأن يتولى هو التحقيق في تلك القضية التي لا أساس لها من الأصل..فهي قضية انتحار

حدثت من قبل، وتحدث الآن، بينما هو ينهار باكيًا، وستحدث في المستقبل..

لكن عمه لواء الشرطة في أحد الأفرع الهامة في وزارة الداخلية قد نجح في أن يسند تلك القضية إلى ابن أخيه..

رغم حيرته وتعجبه من طلبه، لكنه ساعده في تنفيذه...



كان كريم يعرف أن الحادث ليس انتحارًا، وربما كانت جريمة قتل..كان يأمل أن يجد تفسير لما حدث ولما قرأه في تلك المذكرات..

لكن أحيانًا المعرفة..تضر أكثر مما تفيد..

لم تكن بداية الأمر معه مثلما حدث مع أمجد كانت البداية مختلفة..

لكن النهاية واحدة مع الكل..

بات يعرف الآن النهاية..رغم أنه لم يتخيل أن نهايته ستكون بتلك الطريقة غير العادلة...

فهو لم يتخيل أن نهاية كل من يستمع لذلك الصوت هو الجنون، أو الانتحار

عرف كريم أنه في عداد الموتى الآن..

لكنه لن يتخلى عن حياته بتلك السهولة.. سيقاتل حتى الرمق الأخير.. سيقاتل حتى بقاء آخر جزء من وعيه وعقله.. لن يموت بسهولة كالآخرين..

هرول كريم إلى حيث سلاحه الميري ثم رفعه في وجه اللاشيء محدقًا في الفراغ بأعين متسعة ذاهلة.. وفم مفتوح يعب الهواء..

وعرق يتفصد من كل شبر في جسده..

وبدأ يدور حول نفسه في دوائر مفرغة..

ظن أنه سيدور بلا انقطاع حتى سمع ذلك الصوت يقول له:

البداية تختلف، لكن النهاية واحدة يا صديقي، نهايتك ستكون مثل غيرك، لكن ستختلف التفاصيل، فقط التفاصيل..

***


ساحر الكتب


تم بحمد الله



إن كنت تظن أنك تعيش وحدك فقط، فأنت واهم كبير..دائمًا هناك آخر..

لا أنهم ليسوا جان ولا شياطين..

إنهم الوجود بذاته..الآخرون حولك في كل مكان..

هم أهلك وأصدقائك وجيرانك

بالمناسبة فأنت واحدًا منهم..

أنت مجرد آخر..

مثلي تمامًا...

أحمد ناصر



ما بين الخوارق والأمراض النفسية تشابه لا يخطئه سوى الأعمى فقط..

لكن تذكر عالمنا غير محدود..

عالمنا واسع ملئ بالألغاز المحيرة..

والإنسان مهما كان قوي وذكي ومنتج، ففي النهاية هو فانٍ، هناك من أقوى منه..

أقول لك كلمتي الأخيرة..

إن عدم إيمانك بوجود الشئ هذا لا يعني أنه غير موجود، ربما فقط أنت أعمي ولا تراه..

***



التعريف بالكاتب

الكاتب أحمد ناصر عبد الوهاب من مواليد 1990 مدينة المنصورة محافظة الدقهلية..

مهندس وروائي..

حاصل على المركز الأول في جائزة الملك فيصل للقصة القصيرة على مستوى منطقة جدة التعليمية عام 2009م

من أعماله السابقة:

- جرعة رعب (مجموعة قصصية)
- ذات يوم في أوكرانيا (رواية)
- العائد من بابل (رواية)



للتواصل مع الكاتب

عبر Facebook



fb/ahmednaser2222

أو عبر

email

Ahmdnaser2011@gmail.com

شكر خاص لجروب ساحر الكُتب..



المحتويات


ساحر الكتب



أحمد ناصر

الآخر

تشكيل للنشر والتوزيع

الآخر

إنّه شيطانٌ مريدٌ يا شيخنا.. يدفعني دفعًا إلى الموت، حتى الصلاة لا أستطيع إقامتها، لا أستطيع مُناجاة ربي.. فإذا شرعت في الصلاة أو الدعاء لكي يرفع الله هذا البلاء عني.. أتاني هذا الصوت يوسوس لي في أذني بكل شرورِ وآثام الدنيا.. ولا يتركني إلا وقد ازداد بكائي وتشنجي وصراخي طالبًا منه الرحمة وأن يتركني لحال سبيلي".

قالها رجل نحيل للغاية تبدو عليه آثار العلة والسفر، بشرته شاحبة.. شعره مغبّر وثيابه مهلهلة من أثر سفره الطويل في الصحراء.. عيناه غائرتان، وقد بدأ شعر رأسه في السقوط مخلّفًا منطقة فارغة كبيرة في مقدمة رأس الرجل، بينما برزت عظام وجنتيه، فبدا مظهر الرجل النحيل غريبًا مُخيفًا.











www.tashkeel-publishing.com

